


تأليف

أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان

مكتبة البلاغ

سبك الاحد - أشمون - المنوفية
ت: ٠١٢١٠٦٩٦٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع: 15751 / 2001

I.S.B.N: 977-310-142-8

**الطبعة الثانية**

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرّحمن الرحيم

## ● مقدمة المقدمات ●

إنَّ الحمدَ للّهِ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللّهِ من شرورِ أنفسِنَا وسيئّات أعمالِنَا، مَنْ يهده اللّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللّهُ، وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أمّا بعد:**

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللَّهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثَاتُهَا، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضَلَالَةٌ، وكلَّ ضَلَالَةٍ في النَّارِ.

◎ **ثُمَّ أَمَّا بعدُ:**

فقد أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ القرآنَ معجزةً باقيةً للنَّبيِّ ﷺ إلى يومِ القيامةِ.

**وما كان عبثًا**؛ أن يختارَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ العربَ - حاشا وكلَّا - ليصطفيَ منهم رسولَه الخاتَمَ ﷺ، ويُنزِلَ بلسانِهم كتابَهُ الْمُعْجِزَ؛ المتعبَّدَ بتلاوتِهِ إلى يوم الدِّينِ.



**لأنَّه** «إذا كانت اللغةُ هي خِزانة الفكرِ الإنسانيِّ، فإنَّ خزائنَ العربيةِ قد ادَّخرتْ من نفيسِ البيانِ الصحيحِ عن الفكر الإنسانيِّ، وعن النفوسِ الإنسانيةِ، ما يُعْجِزُ سائرَ اللغاتِ؛ **لأنَّها** صُفِّيت منذ الجاهليةِ الأولى المُغْرِقَةِ في القِدَمِ، من نفوسٍ مختارةٍ بريئةٍ من الخسائسِ المزريةِ، ومن العِلَلِ الغالبةِ، حتَّى إذا جاءَ إسماعيلُ نبيُّ اللَّهِ، بن إبراهيم خليلِ اللَّهِ، أخذها وزادها نَصاعةً وبَراعةً وكَرَمًا، وأسلمها إلى أبنائِهِ من العرب، وهم على الحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ دينِ أبيهم إبراهيم، فظلَّتْ تتحدَّرُ على ألسنتهم مختارةً مصفَّاةً مبرَّأةً، حتَّى أظلَّ زمانُ نبيٍّ لا ينطقُ عن الهوى، ﷺ، فأنزلَ اللَّهُ بها كتابَه بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، بلا رمزٍ مبنيٍّ على الخرافاتِ والأوهامِ، ولا ادّعاءٍ لما لم يكن، ولا نِسْبَةِ كَذِبٍ إلى اللَّهِ، تعالى اللَّهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا»[1].

---

(١) «أباطيل وأسمار» العلّامة محمود محمد شاكر (ص٤٣٦).

● **وقد كانت العربُ أمراءَ البيانِ وملوكَ الفصاحةِ ؛**

يوم نزل القرآنُ يتحدَّاهم أن يأتوا بسورةٍ من مثْلِهِ ، ولم يكتفِ ببيانِ عجزِهم عن الإتيان بمثلِهِ في **الحال** ، بل صرّح بفَضْحِ عجزِهم عن ذلك على **التأبيدِ** ، وجعلَ عجزهم - وهم كانوا من الفصاحةِ حيثُ كانوا - دليلًا علىأنَّ هذا الكتابَ ليس في مقدورِ بَشَرٍ ، ولو كان في مقدورِ بَشَرٍ لأَتَوْا بمثلِهِ ، وما مسَّهم من لُغُوبٍ .

**قال تعالى** : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ .

[ البقرة : ٢٣-٢٤ ]

**قال ابن كثيرٍ رحمه اللَّه تعالى :**

« شَرَعَ تعالى في تقريرِ النبوَّةِ ، بعد أن قَرَّرَ أنَّه لا إله إلَّا هو ، **فقال مخاطِبًا الكافرين** : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ



مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ . **يعني : محمَّدًا ﷺ** ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ من مثْلِ ما جاءَ به ، وإن زعمتُم أنَّه من عندِ غَيرِ اللَّهِ : فعارِضُوه بمثْلِ ما جاءَ به ، واستعينوا على ذلك بمَنْ شئتُم من دونِ اللَّه ، فإنَّكم لا تستطيعون ذلك .

**وقد تحدَّاهم اللَّهُ تعالى** بهذا في غير مَوْضِعٍ من القرآنِ ، فقال في « سورةِ القَصَص » [ ٤٩ ] : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

**وقال في** « سورةِ سبحان » [٨٨] : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ .

**وقال في** « سورةِ هود » [١٣] : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

وقال في « سورة يونس » [٣٧-٣٨] : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

وكلُّ هذه الآياتِ : **مكيّة** ، ثمَّ تحدَّاهم بذلك أيضًا في **المدينة** ، **فقالَ في هذه الآيةِ** : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ ، أي : شَكٍّ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ . **يعني** : محمَّدًا ﷺ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ . **يعني** : مِن مثْلِ القرآنِ .. وقد تحدَّاهم بهذا في **مكةَ والمدينةِ** مرَّاتٍ عديدةً ، مع شِدَّةِ عداوتِهِم له وبُغضِهِم لدينِهِ ، ومع هذا عجزوا عن ذلك .

**ولهذا قال تعالى** : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ ، و﴿لَن﴾ . لنفي التأبيدِ ، أي : ولن تفعلوا ذلك أبدًا . **وهذه أيضًا معجزةٌ أخرى ، وهو أنَّه أخبر خبرًا جازمًا**



قاطِعًا ، مُقْدِمًا غيرَ خائفٍ ولا مُشْفِقٍ - أنَّ هذا القرآنَ لا يُعَارَضُ بمثْلِهِ أبدًا ، وكذلك وَقَعَ الأمرُ ، لم يُعَارَضْ من لَدُنْهُ إلى زمانِنَا هذا ، **ولا يمكن** ، وأَنَّى يتأتَّى ذلك لأحدٍ ، والقرآنُ كلامُ اللَّهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ، وكيف يُشْبه كلامُ الخالقِ كلامَ المخلوقين[1] ؟!

● **ولم يكن هذا القرآنُ الذي تحدَّاهم به مؤلَّفًا من غير حروفِ لغتهم** التي رَضَعُوا لَبَانَهَا صغارًا ، وارتاضوا أنفسَهم على أدبها - شِعرًا ونثرًا - كِبارًا ، وقد ذكرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في مَطْلَعِ سورٍ من كتابِهِ حروفًا مُقَطَّعَةً ؛ « للتنبيه إلى أنَّ هذا الكتابَ مؤلَّفٌ من جنسِ هذه الأحرفِ ، وهي في متناولِ المخاطَبين به من العربِ . **ولكنّه** - مع هذا - : هو ذلك **الكتابُ المعجِزُ** ، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروفِ مثْلَه ، الكتاب

(١) « عمدة التفسير » ، وهو « مختصر تفسير ابن كثير » للعلامة أحمد شاكر (١١٧/١) .

الذي يتحدَّاهم مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً أن يأتوا بمثْلِهِ، أو بعَشْرِ سُورٍ مثْلِهِ، أو بسورةٍ من مثْلِهِ فلا يملكون لهذا التحدِّي جوابًا »[1].

**وهذا الوجهُ في الأحرفِ المقطَّعَةِ في أوائلِ السُّوَرِ، هو الذي اختاره شيخُ الإسلام ابن تيمية، كما صَرَّحَ بذلك ابن كثير في «تفسيره»، حيثُ قالَ رحمه اللّهُ:**

« ذُكِرت هذه الأحرفُ في أوائلِ السُّوَرِ التي ذُكِرت فيها؛ **بيانًا لإعجازِ القرآنِ**، وأنَّ الخَلْقَ عاجزون عن معارضتِهِ بمثلِهِ، **هذا**؛ مع أنَّه من هذه الحروفِ المقطَّعةِ التي يتخاطبون بها .. وإليه ذهبَ الشيخُ الإمامُ العلَّامةُ أبو العباس بنُ تيمية، وشيخُنا الحافظُ المجتهدُ أبو الحجَّاجِ المِزِّي، وحكاه لي عن ابن تيمية »[2].

(١) في «ظلال القرآن» (١/٣٨).

(٢) «عمدة التفسير» (١/٩٣).



وذَكَرَ الزمخشريُّ عفا اللّهُ عنه: أنَّها « هكذا مَسْرُودَةٌ على نَمَطِ التعديدِ كالإيقاظِ وقَرْعِ العصا لمَنْ تُحُدِّىَ بالقرآنِ، وبغرابةِ نَظْمِهِ، وكالتحريكِ للنظرِ في أنَّ هذا المتلوَّ عليهم، وقد عجزوا عنه عن آخرِهِم: كلامٌ منظومٌ من عَيْنِ ما ينظمون منه كلامَهم؛ **ليؤدِيهم النظرُ**: إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرَتُهم دونهُ، ولم تظهر مَعْجِزَتُهُم[1] عن أن يأتوا بمثلِهِ بعدِ المراجعات المتطاولَةِ، وهم أمراءُ الكلامِ وزعماءُ الحِوَارِ، وهم الحرَّاسُ على التَّسَاجُلِ في اقتضابِ الخُطَبِ، والمتهالكون على الافتنانِ في القصيدِ والرَّجَزِ، ولم يبلغ من الجَزَالةِ وحُسْنِ النَّظْمِ المبالِغَ التي بَزَّتْ بلاغةَ كلِّ ناطقٍ، وشقَّت غبارَ كلِّ سابقٍ، ولم يتجاوز الحدَّ الخارجَ من قُوى الفصحاءِ، ولم يقع وراءَ مطامحِ أعينِ البُصَرَاءِ إلَّا لأنَّه ليس بكلامِ البشرِ، وأنَّه كلامُ خالقِ

(١) المَعْجِزَة والمَعْجَزَة: العَجْزُ. «لسان العرب» (٢٨١٧).

القُوى والقُدَرِ ، وهذا القولُ من القوّةِ ، والخَلَاقَةِ بالقبولِ بمنزلٍ »[١] .

**• وقد بيّنَ اللّهُ عزّ وجلّ في مواضعَ كثيرةٍ من كتابِهِ ، أنّ هذا الكتابَ عربيٌّ ، وأنّه نزلَ بلسانِ العربِ الذي كانوا به ينطقون ، وأنّ هذا الكتابَ ليس أعجميًا ، بل هو قرآنٌ عربيٌّ مبينٌ .**

وقال تعالى : ﴿ وإنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [ الشعراء : ١٩٢-١٩٥ ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [ يوسف : ٢ ]

وقال تعالى : ﴿ ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [ النحل : ١٠٣ ]

(١) « الكشاف » للزمخشري (١/ ٢٠) .



**قال الشنقيطيُّ رحمه اللّهُ** : « بيّنَ جَلَّ وعلا كذبَهم وتعنُّتَهم في قولهم : ﴿ **إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾ : **بقولِهِ** : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، **أي** : كيف يكون تعلُّمُه من ذلك البشرِ ، مع أنَّ ذلك البشرَ أعجميُّ اللسانِ ، **وهذا القرآنُ** : عربيٌّ مبينٌ فصيحٌ ، لا شائبةَ فيه من العُجْمَةِ ؟! هذا غيرُ معقول .

**وبيَّنَ شِدَّةَ تعنُّتِهم أيضًا** ؛ بأنَّه لو جعلَ القرآنَ أعجميًّا لكذَّبوه أيضًا ، وقالوا : كيف يكون هذا القرآنُ أعجميًّا مع أنَّ الرسولَ الذي أُنزِلَ عليه عربيٌّ ؛ وذلك في قوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [ فصلت : ٤٤ ] .

**أي** : أقرآنٌ أعجميٌّ ، ورسولٌ عربيٌّ ؟! **فكيف ينكرون** أنَّ القرآنَ أعجميٌّ والرسولَ عربيٌّ ، **ولا ينكرون** أنَّ المعلِّمَ المزعومَ أعجميٌّ ، مع أنَّ القرآنَ المزعومَ تعليمه له عربيٌّ ؟؟

**كما بيّن تعنُّتهم أيضًا**؛ بأنَّه لو نزل هذا القرآن العربيُّ المبينُ، على أعجميٍّ فقرأه عليهم عربيًّا؛ لكذَّبوه أيضًا، مع ذلك الخارقِ للعادةِ؛ لشدَّةِ عنادِهم وتعنُّتِهم، **وذلك في قولِه**: ﴿ولَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩].

**وقوله تعالى**: ﴿يُلْحِدُونَ﴾:

**أي**: يُميلون عن الحقِّ، **والمعنى**: لسانُ البَشَرِ الذي يُلحدون - **أي**: يُميلون - قولَهم عن الصدقِ والاستقامةِ إليه، أعجميٌّ غيرُ بيِّنٍ، وهذا القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبينٌ، أي: ذو بيانٍ وفصاحةٍ[1].

**وقال القرطبيُّ رحمه اللَّهُ**:

« يقالُ: رجلٌ **أعجمُ وأعجميٌّ**: إذا كان غير فصيحٍ وإن كان عربيًّا، ورجلٌ **عجميٌّ وإن كان فصيحًا**،

(١) «أضواء البيان» لمحمد الأمين الشنقيطي (٣/٣٣٧).



يُنسب إلى أصلِهِ»[1].

**وقال تعالى**: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

**وقال تعالى**: ﴿وكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

[طه: ١١٣]

**وقال تعالى**: ﴿ولَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

**وقال تعالى**: ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ومَنْ حَوْلَهَا وتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

(١) «تفسير القرطبي» (٤٨٥٥).

**هذا بيان ربّنا سبحانه** ؛ أنَّ القرآنَ العظيمَ إنَّما نزلَ بلغةِ العربِ ، وبلسانِهم ، فاجتمع من هذا ومن دعوتِهِ إلى التدبُّرِ فيه : أنَّ الدعوةَ إلى المعرفةِ بلغةِ العربِ ما تزالُ قائمةً .

**أقولَ هذا ؛ لأنَّه ربَّما قالَ قائلٌ** : إنَّ التدبُّرَ فيه هو النظرُ في قوانينِهِ التي قنَّنَهَا ، ووسائل الإصلاحِ التي فصَّلها ، والحدودِ التي حدَّها ، والشرائعِ التي شرعَهَا ، وآفاقِ السمواتِ والأرضِ التي جَلَّاهَا ، إلى غير ذلك من علومِهِ وفنونِهِ ، وهذا ممكنٌ للعربيِّ والعجميِّ من غيرِ كبيرِ فارقٍ .

**نعم** ، **ربَّما قالَ قائلٌ ذلك ؛ فأقولَ** : إنَّ القومَ الذين نزلَ القرآنُ **بلغتِهِم** : كانوا عَرَبًا جرى القرآنُ في مقتضى قانونِ لغتهم ، وتحدَّاهم أن يأتوا بمثلِهِ ، فعجزوا ، ويعجزُ مِنْ بعدِهِم مَنْ بعدَهُم أبدًا ؛ **لأنَّ الإعجازَ بالتحدي** : **لا يزال قائمًا** : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] .



**وأيضًا** : فالسورُ الأولى التي أنزلت بمكةَ في أولِ العهدِ بنزولِ الوحي كانت غير منطويةٍ على نُظُم تشريعيةٍ ، ولا قوانين تنظيميةٍ ، وإنَّما لَحَظَ أولئك العربُ الإعجازَ في نَظْمِ هذا القرآنِ نفسِهِ .

○ وعلى قدرِ المعرفةِ بلغةِ العربِ تكون المعرفةُ بفضلِ القرآنِ وعُلُوِّ شأنِهِ :

**قالَ ابنَ القيم رحمه الله تعالى** :

« وإنَّما يعرفُ فضلَ القرآن ؛ مَنْ عرفَ كلامَ العربِ ، فعرفَ علمَ اللُّغَةِ ، وعلمَ العربيةِ ، وعلمَ البيانِ ، ونظرَ في أشعارِ العربِ وخُطَبِها ومقاولاتِها : في مواطنِ افتخارِها ، ورسائِلِها ، وأراجيزِها ، وأسجاعِها ؛ **فَعَلِمَ منها** : تلوينَ الخطابِ ومعدولَه ، وفنونَ البلاغةِ وضروبَ

الفصاحةِ ، وأجناسَ التجنيسِ ، وبدائعَ البديعِ ، ومحاسنَ الحِكَمِ والأمثالِ .

**فإذا عَلِمَ ذلك** ونظرَ في هذا الكتاب العزيزِ ، ورأى ما أودعَه اللَّهُ سبحانه فيه من البلاغةِ والفصاحةِ وفنونِ البيان ، فقد أوتي فيه العجبَ العجابَ ، والقولَ الفَصْلَ اللُّبَابَ ، والبلاغة الناصعةَ التي تحيِّرُ الألبابَ ، وتُغلَقُ دونها الأبوابُ ، فكان خطابُهُ للعربِ ، بلسانِهم لتقومَ به الحُجَّةُ عليهم ، ومجاراتُه لهم في ميدانِ الفصاحةِ ليُسبِلَ رداءَ عجزِهم عليهم ، ويثبتَ أنَّه ليس من خطابِهم لديهم ، فعجزت عن مجاراتِه فُصحاؤُهم ، وكلَّت عن النُّطْقِ بمثلِهِ ألسنةُ بلغائِهم ، وبرزَ في رونَقِ الجمالِ والجلالِ ، في أعدلِ ميزانٍ من المناسبةِ والاعتدالِ ؛ **ولذلك** : يقعُ في النفوسِ عند تلاوتِهِ وسماعِهِ من الرَّوعةِ ما يملأُ القلوبَ هيبةً ، والنفوسَ خشيةً ، وتستلذُّه الأسماعُ ، وتميلُ إليه بالحنين الطِّباعُ ، سواء كانت **فاهمةً**



لمعانيه أو **غيرَ فاهمةٍ** ، عالمةً بما يحتويه أو غيرَ عالمةٍ ، **كافرةً** بما جاءَ به أو مؤمنة »(١) .

● ولا سبيلَ إلى معرفةِ إعجازِ القرآنِ العظيمِ ، والوقوفِ على ذلك ، إلَّا عن طريقِ معرفةِ لغةِ العربِ ، ومعرفةِ ما كان عليه العربُ الذين نزلَ القرآن في زمنهم من الفصاحةِ والبيانِ واللَّسَنِ ، ومن لم تكن له بذلك درايةٌ ، ولا له عليه إقبالٌ ، فشأنه شأن الأعجمي الذي يعرفُ الإعجازَ في القرآنِ من عجزِ العربِ الأقدمين عن الإتيانِ بمثلِهِ .

### قال القاضي الباقلاني :

« **قد بيَّنَّا** : أنَّه لا يتهيَّأُ لمَنْ كان لسانُه غيرَ العربيةِ . من العَجمِ والتركِ ، وغيرهم ، أن يعرفوا إعجازَ القرآنِ إلَّا بأن يعلموا أنَّ العربَ قد عجزوا عن ذلك . **فإذا عرفوا**

---

(١) « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن » لابن القيم (٧) .

هذا - بأن علموا أنَّهم قد تُحُدُّوا إلى أن يأتوا بمثلِهِ، وقُرِّعوا على تركِ الإتيانِ بمثْلِهِ، ولم يأتوا به -: تبيَّنوا **أنَّهم عاجزون عنه**. وإذا عَجَزَ أهلُ ذلك اللسانِ، فهم عنه أعجزُ.

**وكذلك نقول**: إنَّ مَنْ كان من أهلِ اللسانِ العربيِّ إلَّا أنَّه ليس يبلغ في الفصاحةِ الحدَّ الذي يتناهى إلى معرفة أساليب العرب، ووجوهِ تصرُّفِ اللغةِ، وما يعدُّونه فصيحًا بليغًا بارعًا من غيرِهِ -: **فهو كالأعجميِّ**؛ في أنَّه لا يمكنه أن يعرفَ إعجازَ القرآنِ، إلَّا بمثلِ ما بيَّنَّا أن يعرفَ به الفارسيُّ الذي بدأنا بذكرِهِ، **وهو ومَنْ** ليس من أهلِ اللسانِ: سواء»[1].

**وليس من غرضِنا هنا**: أن نتحدَّثَ عن **إعجازِ** القرآنِ، وتفصيلِ اختلافِ وجوهِ النظَّارِ فيه، **وإنما غرضَنا**: أن نبيِّنَ أنَّ هذا **القرآن المجيدَ**: يحتاجُ إلى

(١) «إعجاز القرآن» للباقلاني (ص١٧١).



معرفةِ بلغةِ العرب حتَّى يُفهمَ على وجهِهِ، وحتَّى تُدركَ مقاصدُهُ، وما كان النبيُّ ﷺ يتحدى القوم إلَّا بمعجزةٍ عظيمةٍ باهرةٍ.

**وقد بيَّن** النبي ﷺ في الحديثِ المتفقِ على صحتِهِ، **أنَّ** معجزتَه العظيمةَ الظاهرةَ هي القرآنُ، **وأنَّه بهذا القرآن**: يكون أكثر الأنبياءِ تابعًا يومَ القيامةِ، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَومَ الْقِيَامَةِ»[1] أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ له.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل القرآن: باب كيف نزل الوحي «فتح الباري» (٨/٦١٩)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب بعثت بجوامع الكلم «فتح الباري» (١٣/٢٦١)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان من «صحيحه» [«شرح النووي» (٢/ ١٨٧)].

## قال الحافظ رحمه الله :

« **قوله** : « وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ » ، **أي** : إنَّ معجزتي التي تحديتُ بها : الوحيُ الذي أُنزل عليَّ ؛ **وهو القرآنُ** ؛ لما اشتملَ عليه من الإعجازِ الواضحِ ، وليس المرادُ حَصْرَ معجزاتِهِ ﷺ فيه ، ولا أنَّه لم يُؤْتَ من المعجزاتِ ما أُوتيَ مَنْ تقدَّمه ، بل المرادُ أنَّه المعجزةُ العظمى التي اختُصَّ بها دون غيره ، لأنَّ كلَّ نبيٍّ أُعطيَ معجزةً خاصةً به ، لم يُعطها بعينها غيره تحدى بها قومَه ، وكانت معجزة كلِّ نبيٍّ تقعُ مناسبةً لحالِ قومِهِ ، كما كان السحرُ فاشيًا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورةِ ما يصنع السحرةُ لكنَّها تلقَّفت ما صنعوا ، ولم يقع ذلك بعينِهِ لغيرِهِ ، وكذلك إحياءُ عيسى الموتى وإبراءُ الأكمه والأبرصِ ، لكون الأطباءِ والحكماءِ كانوا في ذلك الزمانِ في غايةِ الظهورِ ، فأتاهم من جنسِ عملهم بما لم تصل قدرتُهم إليه .



**ولهذا** ؛ لمَّا كان العربُ الذين بُعث فيهم النبي ﷺ في الغايةِ من البلاغة : **جاءهم بالقرآن** ؛ الذي تحدَّاهم أن يأتوا بسورةٍ مثله ، فلم يقدروا على ذلك .

**وقوله** : « فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » :

رتَّب هذا الكلامَ على ما تقدَّمَ من معجزةِ القرآنِ المستمرةِ ، لكثرةِ فائدتِهِ وعمومِ نفعِهِ ؛ لاشتمالِهِ على الدعوةِ والحُجَّةِ والإخبارِ بما سيكون ، فعمّ نفعُه : مَنْ حضر ومَنْ غابَ ، ومَنْ وجِدَ ومَنْ سيُوجد .

### ◎ وقد جمع بعضهم إعجازَ القرآنِ في أربعةِ أشياء :

**أحدها** : حُسنُ تأليفِهِ ، والتئامُ كلمِهِ مع الإيجازِ والبلاغةِ .

**وثانيها** : صورةُ سياقِهِ وأسلوبِهِ المخالِفِ لأساليبِ كلامِ أهل البلاغةِ من العربِ نظمًا ونثرًا ، حتى حارت فيه

عقولُهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيانِ بشيءٍ مثلِهِ ، مع توفُّرِ دواعيهم على تحصيل ذلك ، وتقريعِهِ لهم على العجزِ عنه .

**وثالثها** : ما اشتمل عليه من الإخبارِ عمَّا مضى من أحوالِ الأممِ السالفةِ ، والشرائعِ الداثرةِ ، مما كان لا يعلم منه إلا النادرُ من أهلِ الكتابِ .

**ورابعها** : الإخبارُ بما سيأتي من الكوائنِ التي وقع بعضُها في العصرِ النبوي وبعضُها بعده .

**ومن غير هذه الأربعةِ** ، آياتٌ وردت بتعجيزِ قومٍ في قضايا أنَّهم لا يفعلونها : فعجزوا عنها مع توفُّرِ دواعيهم على تكذيبِهِ ؛ كتمنِّي اليهودِ الموتَ ، **ومنها** : الروعةُ التي تحصلُ لسامعِهِ ، **ومنها** : أنَّ قارئَه لا يملُّ من ترداده ، وسامعَه لا يمجُّه ، ولا يزداد بكثرةِ التكرارِ إلَّا طراوةً ولذاذةً ، **ومنها** : **أنَّه آيةٌ باقيةٌ لا تعدم ما بقيت الدنيا** ، **ومنها** : جمعُه لعلومٍ ومعارفَ لا تنقضي



عجائبُها ، ولا تنتهي فوائدها »[1] اهـ . **ملخَّصًا من كلامِ عياضٍ وغيره** .

○ **وقد كان النبيُّ ﷺ من الفصاحةِ والبلاغة حيثُ لا يُدانى** ؛ « على أنَّه لا يتكلَّفُ القولَ ، ولا يقصدُ إلى تزيينِهِ ، ولا يبغي إليه وسيلةً من وسائلِ الصنعةِ ، ولا يجاوز به مقدارَ الإبلاغِ في المعنى الذي يريده ، ثمَّ لا يعرِضُ له في ذلك سقَطٌ ولا استكراهٌ ، ولا تَستزلُّه الفُجَاءةُ وما يَبْدَه من أغراضِ الكلامِ عن الأسلوبِ الرائعِ ، وعنِ النمطِ الغريبِ والطريقةِ المحكمةِ ، بحيثُ لا يجد النظرُ إلى كلامِهِ طريقًا يتصفَّح منه صاعدًا أو منحدرًا ؛ ثمَّ أنت لا تعرف له إلَّا المعاني التي هي إلهامُ النبوَّةِ ، ونَتاجُ الحكمةِ ، وغايةُ العقلِ ، وما إلى ذلك ممَّا يخرج به الكلامُ وليس فوقه مقدارٌ إنسانيٌّ من البلاغةِ والتسديدِ وبراعةِ القصدِ

(١) « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٨/٦٢٣) .

والمجيءِ في كلِّ ذلك من وراءِ الغايةِ .. **ولا نعلمُ** أنَّ هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلَّا توفيقًا من اللَّهِ وتوقيفًا ، إذِ ابتعثه للعربِ ، وهم قومٌ يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقاماتُ المشهورةُ في البيان والفصاحةِ ؛ ثمَّ هم مختلفون في ذلك على تفاوتِ ما بين طبقاتهم في اللغاتِ وعلى اختلافِ مواطنهم ، فمنهم الفصيحُ والأفصحُ ، ومنهم الجافي والمضطربُ ، ومنهم ذو اللُّوثَةِ والخالصُ في منطقِه ، إلى ما كان من اشتراكِ اللغاتِ وانفرادِها بينهم ، وتخصُّصِ بعضِ القبائلِ بأوضاعٍ وصيَغٍ مقصورةٍ عليهم ، لا يساهمهم فيها غيرهم من العربِ ، إلَّا مَنْ خالطهم أو دنا منهم دنوَّ المأخذِ »[1] .

**وفي الحديثِ المتفقِ على صحتِهِ** : أنَّه ﷺ أُعطيَ جوامعَ الكلم ، فعن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

(1) « تاريخ آداب العرب » لمصطفى صادق الرافعي (٢/٢٨٢) .



« بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ »[1] متفقٌ عليه .

**وفي روايةٍ لمسلم عن أبي هريرة قالَ** : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ :

« أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » .

**وذكرَ الحافظُ شرحَ « جَوَامِعِ الْكَلِمِ »** عن الزهريِّ ، « **وحاصله** : أنَّه ﷺ كان يتكلَّم بالقولِ الموجَزِ القليلِ اللفظِ الكثيرِ المعاني ، وجزم غيرُ الزهري : بأنَّ المرادَ « بِجَوامِعِ الْكَلِمِ » : **القرآنُ** ؛ بقرينةِ قوله : « بُعِثْتُ » **والقرآنُ** : هو الغايةُ في إيجازِ اللفظِ واتساعِ المعاني »[2] .

(1) أخرجه البخاري في مواضع من « صحيحه » ، انظر « فتح الباري » (٦/١٤٩) ، (١٢/٤١٨) ، (١٣/٢٦١) .
وأخرجه مسلم في « صحيحه » ، انظر « شرح النووي » (٥/٥) .

(2) « فتح الباري » (١٣/٢٦١) .

وقال النووي :

« قوله ﷺ : « **أعطيت جوامع الكَلِم** » ، وفي الرواية الأخرى « **بعثت بجوامع الكَلِم** » ، قال الهروي : يعني به القرآن ؛ جمع اللَّه تعالى في الألفاظ اليسيرةِ منه المعاني الكثيرةَ ، وكلامُه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني »[1] .

**وقد سمى اللَّهُ تعالى « السنة » :** حكمةً في غير ما موضعٍ من الكتابِ العزيزِ : **قال تعالى :** ﴿ولَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ ورَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ومَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ومَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٣] .

(١) « شرح النووي » (٥/٥) .



قال ابن جرير رحمه اللَّه :

« قوله : ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ** ﴾ ، يقول : ومن فضل اللَّهِ عليك **يا محمد** ، مع سائرِ ما تفضَّل به عليك من نعمِهِ ، أنَّه أنزلَ عليك ﴿ **الْكِتَابَ** ﴾ ، وهو القرآنُ الذي فيه بيانُ كلِّ شيءٍ وهدًى وموعظة ، ﴿ **والْحِكْمَةَ** ﴾ ، يعني : وأنزل عليك مع الكتابِ الحكمةَ ، وهي ما كان في الكتاب مجملًا ذكرهُ ، من حلالِهِ وحرامِهِ ، وأمرِهِ ونهيِهِ ، وأحكامِهِ ، ووعدِهِ ووعيدِهِ »[1] .

وفي « عمدة التفسير » :

« امتنَّ عليه بتأييده إياه في جميعِ الأحوالِ ، وعصمتِهِ له ، وما أنزل عليه من الكتابِ **وهو القرآنُ** ، والحكمةِ وهي السنَّةُ »[2] .

(١) « تفسير الطبري » تحقيق محمود شاكر (٢٠٠/٩) .
(٢) « عمدة التفسير » (٢٦٧/٣) .

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

**قالَ ابن كثير رحمه اللَّه :**

« **أي** : واعملن بما ينزِّلُ اللَّهُ تبارك وتعالى على رسولِهِ ﷺ في بيوتكنَّ من الكتابِ والسنَّةِ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ . **أي** : ذا لُطْفٍ بِكُنَّ ، إذ جعلكنَّ في البيوتِ التي تُتلى فيها آياتُ اللَّهِ والحكمةِ ، وهي السنَّةُ »[١]

○ **وهذه اللغةُ** ؛ التي نزل بها القرآنُ ، وتكلَّم بها النبيُّ ﷺ : **أوسعُ اللغاتِ مدًى** ، وأبسطها لسانًا ، وقد تنازعَ العلماءُ في ألفاظٍ وردت في كتابِ اللَّهِ عز وجل واطئتها ألفاظٌ في ألسنةِ أقوامٍ من غيرِ العربِ ؛ كالفرسِ والحبشِ والتركِ ، وعَرَضَ الإمامُ الشافعيُّ - رحمه اللَّه - لذلك في « رسالته » العظيمةِ ، **فبيَّن** أنْ ليس في القرآنِ

(١) « تفسير ابن كثير » (٨٠٣/٣) .



لفظٌ غير عربيٍّ ، وفي تضاعيفِ بيانِهِ دررٌ نفيسةٌ عن فضلِ اللسانِ العربيِّ وفضلِ الناطقين به ، **ولنفاسةِ هذا البيانِ أنقله لك على طولِهِ** :

**قالَ الشافعيُ رحمه اللّه تعالى :**

« وقد تكلَّمَ في العلمِ مَنْ لو أَمْسَكَ عن بعضِ ما تكلَّمَ فيه منه لكان الإمساكُ أَوْلَى به وأَقْرَبَ من السلامةِ له ، إن شاء اللَّه :

**فقالَ منهم قائلٌ : إنَّ في القرآنِ عَرَبِيًّا وأعجميًّا .**

**والقرآنَ** يَدُلُّ على أنْ ليس من كتابِ اللَّهِ شيءٌ إلَّا بلسانِ العربِ ، **ولعلَّ مَنْ قالَ** : إنَّ في القرآنِ غيرَ لسانِ العربِ ، وقُبِلَ ذلك منه : ذَهَبَ إلى أنَّ من القرآنِ خاصًّا يجهلُ بعضَه بعضُ العَربِ .

**ولسانُ العربِ** : أوسعُ الألسنةِ مَذهبًا ، وأكثرها ألفاظًا ، **ولا نَعْلمه يحيطُ بجميعِ علمِهِ إنسانٌ غيرُ**

**نبيّ**، ولكنَّه لا يَذْهب منه شيء على عامَّتِها، حتَّى لا يكون موجودًا فيها مَنْ يَعرفه.

**والعلمُ به - أي**: بلسانِ العربِ - عند العربِ: كالعلمِ بالسنَّةِ عند أهلِ الفقهِ: **لا نَعْلَمُ** رجلًا جَمَعَ السُّنَنَ فلم يَذهبْ منها عليه شيءٌ.

**فإذا جُمع علمُ عامَّةِ أهلِ العلمِ بها**: أَتَى على السُّنَنَ.

**وإذا فُرِّقَ عِلْمُ كلِّ واحدٍ منهم**: ذَهَبَ عليه الشيءُ منها، ثمَّ كان ما ذَهَبَ عليه منها موجودًا عند غيرِهِ.

**وهم في العلمِ طبقاتٌ**: **منهم**: الجامعُ لأكثرِه، وإن ذَهَبَ عليه بعضُه، **ومنهم**: الجامعُ لأقلَّ ممَّا جَمَعَ غيرُه.

**وليس قليلً** ما ذَهَبَ من السُّنَنِ على مَنْ جَمَعَ أكثرهَا: **دليلًا** على أن يُطلبَ علمهُ عند غير طبقتهِ من أهلِ العلمِ، بل يُطلب عند نُظَرائِهِ ما ذهبَ عليه، حتى يُؤْتَى على جميعِ سُنَنِ رسولِ اللَّهِ، **بأبي هو وأمّي**، فيَتَفَرَّدُ جملةُ العلماءِ بِجِمْعِهَا، وهم درجات فيما وَعَوْا منها.

**وهكذا لسانُ العرب عند خاصَّتها وعامَّتها**: لا يَذهبُ منه شيءٌ عليها، ولا يُطلبُ عند غيرها، ولا يعلمه إلَّا مَنْ قَبِلَهُ عنها، ولا يَشْرَكُها فيه إلَّا مَن اتَّبعها في تعلُّمه منها، ومَن قَبِله منها فهو من أهل لسانها، وإنَّما صار غيرُهم من غيرِ أهلِهِ بِتَرْكِهِ، فإذا صار إليه: صار من أهلِهِ، وعِلْمُ أكثرِ اللسانِ في أكثر العربِ: أعَمُّ من علمِ أكثرِ السننِ في العلماءِ.

**فإن قالَ قائلٌ: فقد نَجِدُ من العَجَمِ مَنْ يَنْطقُ بالشيءِ من لسانِ العربِ.**

**فذلك يَحْتَمِلُ ما وصفتُ مِن تعلُّمه منهم**، فإن لم يكن ممن تَعَلَّمَهُ منهم فلا يوجدُ ينطِقُ إلَّا بالقليلِ منه، ومَنْ نَطَقَ بقليلٍ منه: فهو تَبَعٌ للعربِ فيه، ولا نُنْكِرُ إذ

كان اللفظُ قِيلَ تَعَلُّمًا أو نُطِقَ به مَوضوعًا : أن يوافِقَ لسانُ العجمِ أو بعضُها قليلًا من لسانِ العربِ ، كما ياتَفِقُ[١] القليلُ من أَلْسِنَةِ العجمِ المتباينةِ في أكثر كلامها ، مع تَنَائي ديارِها ، واختلافِ لسانِها ، وبُعْدِ الأوَاصرِ بينها وبين مَنْ وافقت بعضَ لسانِه منها .

**فإن قال قائلٌ** : ما الحجةُ في أنَّ كتابَ اللَّه مَحْضٌ بلسانِ العربِ ، لا يَخْلِطُهُ فيه غيرُهِ ؟

**فالحجةُ فيه** : كتابُ اللَّهُ ، **قال اللَّهُ** : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم : ٤] .

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه اللَّه : « تاتَفِقُ » فعل مضارع لم تدغم فيه فاءُ الافتعالِ ، بل قلبت حرفًا لينًا من جنسِ الحركةِ قبلها ، وهي لغةُ أهلِ الحجاز ، يقولون : ايتفق ، ياتفق ، فهو موتفق . ولغة غيرهم الإدغام ، يقولون : اتفق ، يتفق ، فهو متفق ، والشافعي يكتب ويتحدث بلغته : لغة أهل الحِجاز . انظر هامش (ص٣١) من « الرسالة » للشافعي بتحقيق أحمد محمد شاكر .



**فإن قال قائلٌ** : فإنَّ الرُّسُلَ قبل **محمد** كانوا يُرْسَلون إلى قومهم خاصَّةً ، **وإنَّ محمدًا** بُعِثَ إلى الناس كافَّةً : **فقد يَحْتَمِلُ** أن يكون بُعِثَ بلسان قومِهِ خاصَّةً ، ويكون على الناسِ كافَّةً أن يتعلَّموا لسانَه وما أطاقوا منه ، **ويحتمل** أن يكون بُعِث بألسنتهم : **فهل مِنْ دليلٍ** على أنَّه بُعِثَ بلسانِ قومِهِ خاصَّةً دون ألسنةِ العجمِ ؟

**فإذا كانت الألسنةُ مُخْتَلِفَةً بما لا يَفهمه بعضُهم من بعض** : فلابُدَّ أن يكونَ بعضُهم تَبَعًا لبعضٍ ، وأن يكون الفَضْلُ في اللسانِ المتَّبَعِ على التابعِ .

وأوْلَى النَّاسِ بالفضلِ في اللسانِ **مَنْ** لسانُهُ لسانُ النبي ، **ولا يجوزُ** - واللَّهُ أعلمُ - : أن يكونَ أهْلُ لسانِهِ أتباعًا لأهلِ لسانٍ غيرِ لسانِهِ في حرفٍ واحدٍ ، **بل كلُّ لسانٍ** : تَبَعٌ للسانِهِ ، **وكلُّ أهلِ دينٍ قَبْلَه** : فعليهم اتِّباعُ دينه .

**وقد بيَّنَ اللهُ ذلك في غير آيةٍ من كتابِهِ :**

قَالَ اللَّهُ : ﴿وإنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْـعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْـمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [ الشعراء : ١٩٢-١٩٥ ] .

وقال : ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [ الرعد : ٣٧ ] .

وقال : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ القُرَى ومَنْ حَوْلَهَا﴾ [ الشورى : ٧ ] .

وقالَ : ﴿حـم * والْكِتَابِ المُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [ الزخرف : ١-٣ ] .

وقالَ : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

[ الزمر : ٢٨ ]

**قالَ الشافعيُّ : فأقامَ** حُجَّتَهُ بأنَّ كتابَه عربيٌّ ، في كلِّ آيةٍ ذكرناها ، ثمَّ أكَّدَ ذلك بأن نفى عنه - جل



ثناؤه - كلَّ لسانٍ غيرِ لِسَانِ العربِ ، في آيتين من كتابه :

**فقال تبارك وتعالى :** ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [ النحل : ١٠٣ ] .

**وقال :** ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [ فصلت : ٤٤ ] .

**قال الشافعيُّ :** وعَرَّفَنَا نِعمَهُ بما خَصَّنَا به من مكانِهِ ، **فقال :** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [ التوبة : ١٢٨ ] .

**وقال :** ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْـكِتَابَ وَالْـحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [ الجمعة : ٢ ] .

وكان مما عَرَّفَ اللَّهُ نبيَّه من إنعامِهِ أن قالَ : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] ، فَخَصَّ قومَهُ بالذِّكْر معه بكتابِهِ .

وقالَ : ﴿وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

وقالَ : ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ القُرَى ومَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى : ٧] .

وأُمُّ القُرى : **مكة** ، وهي بلدُه وبلدُ قومِهِ ، فجعلهم في كتابه خاصَّةً ، وأدخلهم مع المُنْذَرِينَ عامَّةً ، وقَضَى أن يُنْذَرُوا بلسانهم العربيِّ : لسانِ قومِهِ منهم خاصَّةً .

**فعلى كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمَ مِن لسانِ العربِ ما بلَغَهُ جَهْدُه** ، حتَّى يشهدَ به أن لا إله إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، ويَتْلُوَ به كتابَ اللَّهِ ، ويَنْطِقَ بالذِّكْرِ فيما افتُرِضَ عليه من التكبيرِ ، وأُمِرَ به من التسبيحِ والتَّشَهُّدِ وغيرِ ذلك .



وما ازْدَادَ من العلم باللسانِ ، الذي جعله اللَّهُ لسانَ مَنْ خَتَمَ به نُبُوَّتَهُ ، وأنزلَ به آخِرَ كتبه : كان خيرًا له ، كما عليه أن يتعلَّمَ الصلاةَ والذِّكْرَ فيها ، ويأتيَ البيتَ ، وما أُمر بإتيانِهِ ، ويَتَوَجَّهَ لما وُجِّهَ له ، ويكونَ تَبَعًا فيما افْتُرِضَ عليه ونُدِبَ إليه ، لا مَتْبُوعًا »[1] .

○ **قالَ الشيخُ أحمد شاكر - رحمه اللَّه - مُعَلِّقًا :**

« في هذا معنى **سياسيٌّ وقوميٌّ** جليلٌ ؛ لأنَّ الأمة التي نزلَ بلسانِها الكتابُ الكريم ، يجب عليها أن تعملَ على نَشْرِ دينها ، ونَشْرِ لسانِهَا ، ونَشْرِ عاداتِهَا وآدَابِهَا : بين الأممِ الأخرى ، وهي تدعوها إلى ما جاء به نبيُّهَا من الهدى ودينِ الحقِّ ، لتجعلَ من هذه الأمم الإسلاميةِ أمَّةً واحدةً ، **دينُهَا** : واحدٌ ، **وَقِبلتُهَا** : واحدةٌ ، **ولغتُهَا** : واحدةٌ ، ومقوماتُ شخصيتها : واحدةٌ ، **ولتكون أمَّةً وَسَطًا** ، ويكونوا شهداءَ على النَّاسِ ، فَمَن أراد أن

(١) « الرسالة » للشافعي تحقيق أحمد شاكر (ص٤١) .

يدخلَ في هذه العصبةِ الإسلاميةِ : فعليه أن يعتقدَ دينَهَا ، ويتبعَ شريعتَهَا ، ويهتديَ بهديها ، وَيَتَعَلَّمَ لغتَهَا ، ويكون في ذلك كلِّه كما قالَ الشافعيُّ رضي اللَّه عنه : **تَبَعًا لا مَتْبُوعًا** »[1] .

○ **فهذا هو الشافعيُّ - رحمه اللّه - يذكر اتّساعَ لسانِ العربِ** ؛ حتَّى ليستحيل أن يحيطَ بجميعِهِ مَنْ ليس بنبيٍّ ، ولكنَّه كالسُّنَنِ تتفرَّقُ عند العلماءِ بها ، **ولكنَّها بمجموعها عند مجموعهم** ، وإذا أرادَ أحدٌ أن يبحثَ عن سنَّةٍ من السُّنَنِ : فإنَّما يبحثُ عنها في مظانِّها ؛ عند العلماءِ بها ، وليس عند غيرهم .

**وكذلك اللسانُ العربيُّ** : إذا عَزَبَ منه شيءٌ عن بعضِ أهلِهِ : وجِدَ عند غيرهم ، ولكنَّه لا يُخطئُ مجموعَهم .

---

(١) « الرسالة » هامش (ص٤٩) .



واللسانُ العربيُّ مُتَّبَعٌ ، وأَوْلَى النَّاسِ بالفضلِ في اللسانِ : مَنْ لسانهُ لسانُ النبي ﷺ .

○ **ثمّ انظر كيف وجّه الشافعيُّ** - رحمه اللَّه - المسلمَ إلى أن يتعلَّمَ من لسانِ العربِ ما بلغه جهدهِ ، وأنَّه ما ازداد أَحدٌ من العلمِ باللسانِ إلَّا كان خيرًا له ، في الدنيا والآخرةِ .

● **وأمَّا القضيةُ التي كان الشافعيُّ - رحمه اللّه - يناقشها - وهي خلوُّ القرآنِ من لفظٍ أعجميٍّ** - : فقد حكى السيوطيُّ - رحمه اللَّهُ - : **إجماعَ الجمهورِ على ما قاله الشافعيُّ** ، ولا بأسَ من نقلِ ذلك ، وإن كانت هذه القضيةُ ليست من صُلْبِ ما نحن بصدَدِهِ .

○ **قال السيوطي - رحمه اللّه :**

« قالَ الجمهورُ :

**ليس في كتابِ اللّه - سبحانه - شيء بغيرِ لغةِ العربِ**

لقولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [ الزخرف : ٣] .

وقولِهِ تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ .

[ الشعراء : ١٩٥]

وادَّعى ناسٌ : أنَّ في **القرآنِ** ما ليس بلغةِ العربِ ، حتَّى ذكروا لغةَ **الرومِ والقِبطِ والنَّبط .**

قالَ أبو عبيدة : ومَنْ زعم ذلك : فقد أكْبَرَ القولَ »[1] .

● **وربَّما قالَ قائلٌ :**

ولكنَّ العربَ الذين نزلَ القرآنُ في زمنهم ، وكانوا من الفصاحةِ حيثُ ذكرتَ ، ومن الفهمِ للغةِ الكتابِ حيثُ ادَّعيتَ ، لم يُسْلِمُوا !!

(١) « المزهر » للسيوطي (١/٢٦٦) .



**فبماذا نفعهم فهمُهم ؟**

**وبماذا أفادتهم فصاحتُهم ؟**

**أمَّا نحن** : فلا نفهمُ في كتابِ اللّهِ شيئًا ، **ولكنَّا - والحمدُ للّهِ - مسلمون** ؛ نصلِّي ، ونحجُّ البيتَ ، ونصومُ !

○ **فأقول** : إنَّ تردِّي من لم يُسلم من العربِ الذين نزل القرآنُ في زمانهم في هُوَّةِ الكفرِ ، **كانت له أسبابٌ كثيرةٌ :**

**منها** : العنادُ .

**ومنها** : الكِبْرُ .

**ومنها** : الحَسَدُ .

**وأمّا القرآنَ** ؛ فكانوا في إشفاقٍ منه أبدًا ، ويمنعهم الكبرُ أن يُسلموا له ؛ لنزولِهِ على **محمّدٍ** ؛ ولم يكن فيهم ذا مالٍ ، ولا طالِبَ جاهٍ ، ﴿وقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا

الـقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْـنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف : ٣١] ، كما كانوا يتواصون بعدمِ سماعِهِ فيما بينهم ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ . [فصلت : ٢٦] .

**وهكذا** ؛ ترى **الحسدَ والكبرَ** : دافعين من دوافعِ الكفرِ وعدمِ التسليمِ .

○ **ثم** ؛ ما تقولُ في الذين أسلموا من أولئك العرب ، فأصبحوا من صحابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ كأبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وأبي عبيدة ، وسعد ، وأضرابِهِم ؟؟ هل رأيتهم مرةً يتمدَّحون بعدم فهمهم لكتابِ اللَّه عز وجل ، أو يتفاخرون بجهلِهم به وقلَّةِ فقههم مقاصده ومراميه ؟؟

**وهل يصحُّ** أن يتحوَّلَ الإسلامُ إلى دينِ ذي طقوسٍ وشعائرَ تُمارسُ من غير فهمٍ لمنهجِهِ ونظرتِهِ في الدنيا



والآخرة ، وكلُّ ذلك في كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وسنَّةِ نبيِّه ﷺ ، وهما ما يتمادحُ المتمادحون بالجهل بهما والإعراضِ عنهما ؟؟

● **وينبغي أن تعلم** : أنَّ عامَّةَ الخطأ في الدينِ ؛ إنَّما **يأتي من قلَّةِ الفهم لألفاظِ الكتابِ والسنَّةِ** ؛ **إذ إنَّ الدين** : هو التسليمُ للكتابِ على مرادِ اللَّهِ تعالى ، وللسنَّةِ على مرادِ النبيِّ ﷺ ، **ولكن يأتي آتٍ** : فيأخذ الكتابَ والسنَّةَ على مرادِ نفسِهِ ، فيكون في ظاهرِ الأمرِ آخِذًا بالكتابِ والسنَّةِ ، متشبِّثًا بالنصِّ ، **وهو في حقيقةِ الأمر** : مجافٍ للكتابِ ، مجانبٌ للسنَّةِ ، موغِلٌ في البعدِ عن الصوابِ .

**قالَ شيخُ الإسلامِ أحمدُ بنُ تيميَّة - رحمه اللَّهُ :**

« لابُدَّ في تفسيرِ القرآنِ والحديثِ من أن يعرفَ ما يدلُّ على مرادِ اللَّهِ ورسولِهِ من الألفاظِ ، وكيف يُفهم كلامُه .

فمعرفةُ العربية التي خُوطبنا بها : ممَّا يعين على أن نفقه مرادَ اللَّه ورسولِهِ بكلامِهِ ، وكذلك معرفةُ دلالةِ الألفاظِ على المعاني ، فإنَّ عامَّةَ ضلالِ أهلِ البدعِ : كان بهذا السبب ؛ فإنَّهم صاروا يحملون كلامَ اللَّهِ ورسولِهِ على ما يدَّعون أنَّه دالٌّ عليه ، ولا يكون الأمرُ كذلك »[١] .

○ **وكلما** كانت معرفةُ المسلمِ بألفاظِ الكتابِ والسنَّةِ تامَّةً ، كان فهمُه لمرادِ الكتابِ والسنَّةِ تامًّا ، وإلَّا كان فيه من الزيغِ عن الكتابِ والسنَّةِ بقَدْرِ ما صَرَفَ ألفاظهما إليه من عادتِهِ واصطلاحِهِ .

« ومَنْ لم يعرف لغة الصحابةِ التي كانوا يتخاطبون بها ، ويخاطبهم بها النبيُّ ﷺ ، وعادَتَهم في الكلامِ ، وإلَّا حَرَّفَ الكلمَ عن مواضعه .

(١) « الإيمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١١١) .



فإنَّ كثيرًا من النَّاسِ : ينشأ على اصطلاح قومِهِ وعادتِهِم في الألفاظِ ، ثمَّ يجد تلك الألفاظَ في كلامِ اللَّهِ أو رسولِهِ أو الصحابةِ ، **فيظنُّ** : أنَّ مرادَ اللَّهِ أو رسولِهِ أو الصحابةِ بتلك الألفاظِ ما يريده بذلك أهلُ عادتِهِ واصطلاحِهِ ، ويكون مرادُ اللَّهِ ورسولِهِ والصحابةِ خلافَ ذلك »[١] .

○ ○ ○

(١) « مجموعة فتاوى شيخ الإسلام » (١/٢٤٣) .

# ○ سَبِيلُ الْعِلْمِ الْحَقِّ ○

**العلمُ الشرعيُّ الحقُّ**: دينٌ يُعبدُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ به، وقُربةٌ من أَجَلِّ القُرُباتِ له.

وقد أخبر **العلماءُ - رضوانُ اللَّه عليهم -**: أنَّ هذا العلمَ: دينٌ، فينبغي تبعًا لذلك أن ينظرَ الآخذُ عمَّن يأخذُ دينَه، وإلَّا كان كَحَاطِبِ ليلٍ ربَّما احتمل حزمةً من حطبٍ وبها ثعبانٌ يكمن في سَمِّه هلاكُ حاملِهِ.

**أخرجَ مسلمٌ في «صحيحه» بسنَدِهِ عن محمَّد ابنِ سيرين قالَ:**

**«إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»**[1]

○ ويبيِّن شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّهُ - سبيلَ العلمِ الصحيحِ في كلمة جامعةٍ فيقول:

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/٨٤).



**«العِلْمُ يَحتاجُ إِلَى نَقْلٍ مُصَدَّقٍ، وَنَظَرٍ مُحَقَّقٍ»**[1]

**ويبيِّنُ ذلك بيانًا شافيًا فيقول:**

«المنقولُ عن السَّلَفِ والعلماء: يحتاجُ إلى معرفةِ بثبوتِ لفظِهِ ومعرفةِ دلالتِهِ، كما يحتاجُ إلى ذلك المنقولُ عن اللَّهِ ورسولِهِ ﷺ»[1].

معرفةُ دلالةِ المنقولِ الثابتِ مطلوبٌ، وإلَّا عُطِّلَ النصُّ عن مدلولِهِ، أو فُهم على غير وجهِهِ، وعُمل على مقتضى غير دلالتِهِ.

○ ○ ○

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١/٢٤٦).

## ○ تعَلُّمُ الْعَرَبِيّةِ وَتَعْلِيمُهَا فَرْضٌ وَاجِبٌ ○

○ **قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة - رحمه اللَّه - :**

« معلومٌ ؛ أنَّ تعلُّمَ العربيةِ وتعليم العربيةِ : فرضٌ على الكفايةِ ؛ وكان السَّلَفُ يُؤَدِّبونَ أولادَهُم على اللَّحْنِ. فنحن مأمُورون أمرَ إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ : أن نحفظَ القانونَ العربي ، ونُصلح الألْسُنَ المائلةَ عنه ، فيحفظَ لنا طريقةَ فَهْمِ الكتابِ والسنَّةِ ، والاقتداء بالعربِ في خطابها. فلو تُرِكَ النَّاسُ على لحنِهِم كان نقصًا وعيبًا »[١].

○ **ونقلَ شيخُ الإسلامِ عن الإمامِ أحمد : كراهةَ الرِّطانةِ** ، وتسميةِ الشهور بالأسماءِ الأعجميةِ.

**والوجهُ عندَ الإمامِ أحمدَ في ذلكَ :**

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام » (٣٢/٢٥٢).



« كراهة أن يتعوَّدَ الرجلُ النُّطْقَ بغيرِ العربية ».

**ثمَّ قالَ شيخُ الإسلام :**

« لأنَّ اللسانَ العربيَّ شعارُ الإسلامِ وأهلِهِ ، واللغات من أعظم شعائر الأممِ التي بها يتميَّزون »[١].

**قال ابن الأثيرِ رحمه اللَّهُ :**

« **الرَّطَانَةُ** : بفتحِ الراءِ وكسرِها ، **والتَّراطُنُ** : كلامٌ لا يفهمه الجمهُور ، وإنَّما هو مواضعةٌ بين اثنين أو جماعةٍ ، والعربُ تخصُّ بها غالبًا كلامَ العجمِ »[٢].

○ **وإذا كانت اللغاتُ من أعظمِ شعائرِ الأممِ التي بها يتميَّزون** ، كما قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية ؛ فإنَّ الأمةَ العزيزةَ : تعتزُّ بلغتها ، وتحرِصُ على استقلالِها اللغويِّ كما تحرصُ على استقلالها العسكريِّ

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » لابن تيمية (ص٢٠٣).

(٢) « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير (٢/٢٣٣).

والاقتصادي سواءً، وتحترمُ قوانينَها اللغويةَ وتتمسَّكُ بها، **والأمَّةَ الذليلةَ**: تفرِّطُ في لغتها، حتَّى تصبحَ أجنبيةً عنها وهي منسوبةٌ إليها.

○ **إلى مثلِ هذا المعنى أشارَ الكاتب الحجَّةُ البليغ مصطفى صادق الرافعي - رحمه اللَّه - في قولِهِ**:

«**هل أعجبُ من أنَّ المجمعَ العلميَّ الفرنسيَّ يؤذِّنُ في قومِهِ بإبطالِ كلمةٍ إنجليزيةٍ**، كانت في الألسنةِ من أثرِ الحرْبِ الكبرى، ويُوجِبُ إسقاطَها من اللغةِ جملةً، وهي كلمةُ: «نظام الحصر البحري»، وكانت مِمَّا جاءت مع نكباتِ فرنسا في الحربِ العظمي، فلمَّا ذهبت تلك النكباتُ، رأى المجمعُ العلميُّ أنَّ الكلمةَ وحدها نكبةٌ على اللغةِ **كأنَّها جنديُّ دولةٍ أجنبية في أرض دولةٍ مستقِلَّةٍ** بشارَتِهِ وسلاحِهِ وعَلَمِهِ يُعلنِ عن قَهْرٍ أو غَلَبَةٍ أو استعبادٍ!



**وهل فعلوا ذلك**؛ إلَّا أنَّ **التهاونَ** يدعو بعضُه إلى بعضٍ، وأنَّ **الغفلةَ** تبعثُ على ضعفِ الحفظِ والتصوُّن، وأنَّ **الاختلاطَ والاضطرابَ** يجيءُ من الغفلةِ، **والفسادَ** يجتمعُ من الاختلاطِ والاضطرابِ.

إنَّما الأمورُ بمقادِيرِها في ميزانِ الاصطلاحِ، لا بأوزانِها في نفسِها، فألفُ جنديٍّ أجنبيٍّ بأسلحتِهم وذخيرتِهم في أرضٍ هالكةٍ بأهليها ربَّما كانوا غَوْثًا تفتَّحت به السماءُ، ولكنَّ جنديًّا واحدًا من هؤلاءِ في أمَّةٍ قويةٍ مستقلَّة، تنشقُّ له الأرضُ، وتكاد السماءُ أن تقع»[1].

○ **وقالَ - رحمه اللَّهُ - في موضعٍ آخر**:

«**ما ذَلَّتْ لغةُ شعبٍ إلَّا ذلَّ، ولا انحطَّتْ إلَّا كان أمرُهُ في ذهابٍ وإدبارٍ**؛ ومن هذا يفرِضُ الأجنبيُّ المستعمرُ لغتَه فرضًا على الأمَّةِ المستعمَرَةِ، ويركبهم

---

(١) «تحت راية القرآن» للرافعي (ص٢٥).

بها ، ويُشعرُهم عَظَمَته فيها ، ويَسْتَلْحِقُهُم من ناحيتها ؛ **فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ :**

**أما الأولُ :** فحبْسُ لغتهم في لغتِهِ سِجنًا مؤبدًا .

**وأمَّا الثاني :** فالحكمُ على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا .

**وأمَّا الثالثُ :** فتقييدُ مستقبلهم في الأغلالِ التي يصنعُها ، فأمرهم من بعدِها لأمرِهِ تَبَعٌ »[١] .

● **وقد مرَّ قولُ الشافعي - رحمه اللّه - :**

إنَّ المسلمَ عليه أن يكونَ تَبَعًا فيما افتُرِضَ عليه ونُدِبَ إليه ، **لا مَتْبُوعًا ؛ أي :** على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمَ من لغةِ العربِ ما يكون به على أصلِ ما جاءَ به النبيُّ ﷺ ، لا أن يظلَّ على لغتِهِ هو أو عُرْفِ قومِهِ واصطلاحِهم ولهجتهم ، وتتبعه لغةُ العربِ التي جاء بها القرآنُ وسنَّةُ النبيِّ ﷺ فيكون بذلك متبوعًا .

(١) « وحي القلم » للرافعي (٣/٣٣) .



**واعلم** ؛ أنَّ شخصيةَ الأمَّةِ تبدو جليَّةً عند اعتيادِها الأخذَ بلغةِ الكتابِ العزيز ، **وأنَّ تركَ تلك اللغة :** مَضْيَعَةٌ لشخصيةِ الأمَّةِ وامِّحَاءٌ لها ، وذوبانٌ لتلك الشخصيةِ في كيانِ الأممِ التي تتكلَّمُ الأمَّةُ لغاتِها ، **فإن تركت الأمةُ لغةَ الكتابِ** إلى غيرِ لغةٍ ممَّا يعتدُّ به ، فاعلم أنَّها أصبحت أمَّةً لا شخصيةَ لها ، **وعُدَّها في الموتى وكَبِّرْ عليها أربعًا .**

○ قال شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رحمه اللَّهُ :

« **اعلم أنَّ اعتيادَ اللغةِ : يُؤَثِّرُ** في العقلِ والخُلُقِ والدينِ ، **تأثيرًا قويًّا بيِّنًا ، ويُؤَثِّرُ** أيضًا في مشابهةِ صدرِ هذه الأمَّةِ من الصحابةِ والتابعين ، **ومشابهتُهم :** تزيد العقلَ والدينَ والخُلُقَ »[١] .

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (ص٢٠٧) ،

○ وقال الرافعيُّ – رحمه اللَّهُ – :

«**اللغةُ هي صورةُ وجودِ الأمَّةِ** بأفكارِها ومعانيها وحقائقِ نفوسِها، وجودًا متميِّزًا بخصائِصِه؛ **فهي قوميةُ الفكرِ**، تتَّحدُ بها الأمةُ في صُوَرِ التفكيرِ وأساليبِ أخْذِ المعنى من المادةِ؛ والدِّقَّةُ في تركيبِ اللغةِ دليلٌ على دقَّةِ الملَكاتِ في أهلِها، وعمقُها هو عمقُ الروحِ ودليلُ الحِسِّ على ميل الأمَّةِ إلى التفكيرِ والبحثِ في الأسبابِ والعللِ، وكثرةُ مشتقَّاتِها برهانٌ على نَزْعةِ الحريةِ وطماحِها، **فإنَّ روحَ الاستعبادِ ضيِّقٌ لا يتسع**، ودأبه لزومُ الكلمةِ والكلماتِ القليلةِ.

**وإذا كانت اللغةُ بهذه المنزلةِ**، وكانت أمَّتُها حريصةً عليها، ناهضةً بها، متَّسعةً فيها، مكبِرةً شأنها، فما يأتي ذلك إلَّا من رُوحِ التسلُّط في شعبِها والمطابقةِ بين طبيعتهِ وعملِ طبيعتهِ، وكونهِ سيدَ أمرِهِ، ومحقِّقَ وجودهِ، ومستعمِلَ قوتِهِ، والآخِذَ بحقِّه، فأمَّا إذا كان



منه التراخي والإهمالُ وتركُ اللغةِ للطبيعةِ السوقيةِ، وإصغَارُ أمرِها، وتهوينُ خَطَرِها، وإيثارُ غيرِها بالحبِّ والإكبارِ، **فهذا شعبٌ**: خادمٌ لا مخدومٌ، تابعٌ لا متبوعٌ، ضعيفٌ عن تكاليفِ السيادةِ، لا يطيقُ أن يحملَ عظمةَ ميراثِهِ، مُجتزِئٌ ببعضِ حقِّه، مُكْتَفٍ بضروراتِ العيشِ، يُوضَع لحكمِهِ القانونُ الذي أكثرُهُ للحرمانِ وأقلُّه للفائدةِ التي هي كالحرمانِ.

**لا جَرَمَ كانت لغةُ الأمةِ هي الهدفَ الأولَ للمستعمرين**؛ فلن يتحوَّلَ الشعبُ أوَّلَ ما يتحوَّلُ إلَّا من لغتِهِ، إذ يكونُ مَنْشَأُ التحوُّلِ من أفكارِهِ وعواطفِهِ وآمالِهِ، وهو إذا انقطعَ من نَسَبِ لغتِهِ انقطعَ من نَسَبِ ماضيه، فليس كاللغةِ نَسَبٌ للعاطفةِ والفكرِ؛ حتى إن أبناءَ الأبِ الواحدِ لو اختلفت ألسنتُهم فنشأ منهم ناشئٌ على لغةٍ، ونشأ الثاني على أخرى، والثالثُ على لغةٍ ثالثةٍ، لكانوا في العاطفةِ كأبناءِ ثلاثةِ آباءٍ»[1].

(١) «وحي القلم» للرافعي (٣٢/٣).

○ **وكان علماءُ الأمَّةِ - رحمهم اللَّهُ - في صدرِها الأولِ على وعيٍ كاملٍ بأثرِ اللغةِ في تكوينِ الأمةِ، وخطرِها في بناءِ شخصيةِ المسلمِ**؛ ولذلك حرصوا حرصًا شديدًا على لغةِ القرآنِ والسنَّةِ، وشدَّدوا النكير على مَنْ حادَ عنها إلى غيرها، واستبدلَ الذي هو أدنى بالذي هو خير.

**قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية - رحمه اللَّهُ -**

**قال الشافعيُّ**، فيما رواه السِّلفيُّ بإسنادٍ معروفٍ إلى محمدِ بن عبد الحكمِ قال: سمعتُ محمدَ بن إدريس الشافعي يقولُ:

« سمَّى اللَّهُ الطالبين من فضلِهِ في الشراءِ والبيعِ: تجارًا، ولم تزل العربُ تسميهم التجارَ، ثم سمَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بما سمَّى اللَّهُ به من التجارةِ بلسانِ العربِ، **والسماسرةُ** اسمٌ من أسماءِ العجمِ، فلا نحبُّ أن يُسمِّيَ رجلٌ يعرفُ العربيةَ تاجرًا إلَّا تاجرًا، ولا ينطق



بالعربية فيسمِّيَ شيئًا بالعجمية؛ وذلك أنَّ اللسانَ الذي اختاره اللَّهُ عز وجل لسانُ العربِ فأنزلَ به كتابَه العزيز، وجعله لسانَ خاتَمِ أنبيائِهِ **محمدٍ** ﷺ.

**ولهذا نقولُ**: ينبغي لكلِّ أحدٍ يقدرُ على تعلُّم العربيةِ: أن يتعلَّمها؛ لأنَّها اللسانُ **الأَوْلى بأن** يكون مرغوبًا فيه، من غير أن يُحَرَّمَ على أحدٍ أن ينطقَ بالعجمية.

**قالَ شيخُ الإسلامِ:**

فقد كره الشافعيُّ لِمَنْ يعرف العربيةَ أن يسمِّيَ بغيرها، وأن يتكلَّمَ بها خالِطًا لها بالعجميةِ، **وهذا الذي** ذكره، قاله الأئمةُ مأثورًا عن الصحابةِ **والتابعين**»[1].

**وقال - رحمه اللَّهُ - في موضعٍ آخر:**

« ومازالَ السَّلَفُ يكرهون تغييرَ شعائرِ العربِ حتَّى

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (ص٢٠٤).

في المعاملاتِ، وهو «**التكلُّمَ بغيرِ العربيةِ**» إلَّا لحاجةٍ، كما نصَّ على ذلك مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ؛ بل قالَ مالكٌ: مَنْ تكلَّمَ في مسجدِنا بغيرِ العربيةِ: أُخْرِجَ منه.

مع أنَّ سائرَ الألسنِ يجوزُ النُّطقُ بها لأصحابِها، ولكن سوَّغوها للحاجةِ، وكرِهوها لغيرِ الحاجةِ، ولحفظِ الإسلامِ.

فإنَّ اللَّهَ أنزلَ كتابَه باللسانِ العربيِّ، وبعثَ به نبيَّه العربيَّ، وجعلَ الأُمَّةَ العربيةَ خيرَ الأُمِ، فصارَ حِفْظُ شعارِهم من تمامِ حفظِ الإسلامِ، فكيف بمَنْ تقدَّمَ على الكلامِ العربيِّ - مفردِه ومنظومه - يغيِّرُهُ ويبدِّلُه، ويخرجُه عن قانونِهِ، ويكلِّفُ الانتقالَ عنه؟!»[1].

ولم يكن العربُ عندما يفتحون بلدًا من البلدان يتركون لسانَهم ولسانَ قرآنِهم من أجلِ لسانِ أحدٍ،

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣٢/٢٥٥).



وإنَّما تغلِبُ العربيةُ على أهلِ الْمَصْرِ المفتوحِ حتَّى تُطبق عليه، ويكره المسلمون أشدَّ الكُرْهِ أن تتفشَّى فيهم العجمةُ والرَّطَانَةُ البعيدتان عن لغةِ الكتابِ وأهلِهِ.

**قال شيخ الإسلام**:

«واعتيادُ الخطابِ بغيرِ العربيةِ التي هي شِعَارُ الإسلام ولغةُ القرآنِ، حتَّى يصيرَ ذلك عادةً للمَصْرِ وأهلِه، ولأهلِ الدَّارِ، وللرجلِ مع صاحبِهِ، ولأهلِ السُّوقِ، أو للأمراءِ، أو لأهلِ الديوانِ، أو لأهلِ الفقه: فلا ريبَ أنَّ هذا مكروهٌ؛ فإنَّه من التشبُّهِ بالأعاجمِ.

**ولهذا**؛ كان المسلمون المتقدمون، لمَّا سكنوا أرض الشامِ ومصرَ، ولغةُ أهلهما **روميَّةٌ**، وأرضَ العراق وخُراسان، ولغةُ أهلهما **فارسيةٌ**، وأرضَ المغرب، ولغةُ أهلها بربريةٌ: **عوَّدوا أهلَ هذه البلادِ العربيةَ**، حتَّى غلبت على أهلِ هذه الأمصارِ: مسلمِهم وكافرِهم، وهكذا كانت خُراسانُ قديمًا.

**ثم إنهم** – أي : المسلمين – تساهلوا في أمرِ اللغةِ ، واعتادوا الخطابَ بالفارسيةِ ، حتَّى غَلَبت عليهم ، وصارت العربيةُ مهجورةً عند كثيرٍ منهم ، **ولا ريب أن هذا مكروه** .

**وإنّما الطريقُ الحَسَنُ** : اعتيادُ الخطابِ بالعربيةِ ، حتَّى يتلقَّنها الصِّغَارُ في الدُّورِ والمكاتبِ ؛ **فيظهرَ شعارُ الإسلامِ وأهله** ، ويكون ذلك أسهلَ على أهلِ الإسلامِ في فقه معاني الكتابِ والسنَّةِ وكلامِ السَّلَفِ ، بخلاف مَن اعتادَ لغةً ثمَّ أرادَ أن ينتقلَ إلى أخرى فإنَّه يَصعُبُ عليه »[(١)] .

○ **ويدلُّك على اكتساحِ العربيةِ لغاتِ البلادِ المفتوحةِ** – غير ما ذكره شيخُ الإسلام رحمه اللَّه فيما تقدَّم – تلك **الأنَّةُ** الشاكيةُ التي كتبها « **ألفارو** » مطرانُ « **قرطبة** » إلى أحدِ أصدقائِهِ **عامَ أربعِ وخمسين وثمانمائة** من

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (ص٢٠٦) .



الميلادِ ، يصفُ فيها حالَ اللغةِ العربيةِ مع لغةِ كتابِهِ المقدَّس ، زَعَمَ ، وكيف تحوَّل أتباعُه ، وأتباعُ كتابِهِ بالأمسِ ، إلى لغةِ القرآنِ المجيدِ ، ولم يكن قد مضى على فتحِ الأندلسِ غيرُ مائةٍ وأربعين عامًا عندما كتبَ تلك الرسالةَ الشاكيةَ .

**كتبَ « ألفارو » مطرانُ « قرطبة » عامَ أربعِ وخمسين وثمانمائة للميلادِ إلى أحدِ أصدقائِهِ يقولُ :**

« مَنْ الذي يعكُف اليومَ بين أتباعِنَا من المؤمنين على دراسةِ الكتبِ المقدَّسةِ ، أو يرجعُ إلى كتابِ أيِّ عالمٍ من علمائِها ، ممَّن كتبوا في اللغةِ اللاتينيةِ ؟ مَنْ منهم يدرُسُ الإنجيلَ أو الأنبياءَ أو الرُّسُلَ ؟

إنَّنا لا نرى غيرَ **شبان** مسيحيين هاموا حُبًّا باللغةِ العربيةِ ، يبحثون عن كُتُبها ويقتنُونها ، ويدرسُونها في شَغَفٍ ، ويعلِّقون عليها ، ويتحدَّثون بها في طلاقةٍ ، ويكتبون بها في جمالٍ وبلاغةٍ ، ويقولون فيها الشِّعْرَ في

رقَّةٍ وأناقةٍ ، يا للحزن ! **مسيحيون يجهلون كتابَهم وقانونَهم ولاتينيتَهم ، وينسون لغتَهم نفسَها** ، ولا يكاد الواحدُ منهم يستطيعُ أن يكتب رسالةً معقولةً لأخيه مسلِّمًا عليه ، **وتستطيعُ أن تجد جَمْعًا لا يُحصى يُظْهِرُ** تفوُّقَه وقدرته وتمكُّنه من اللغةِ العربيةِ » .

## ○ اللُّغَةُ الْعَرَبِيّةُ سَيِّدَةُ اللُّغَاتِ ○

ولا تحسبَنَّ قولَ هذا « ألفارو » **دالًّا على فَرْضِ العربِ المسلمِين لغتَهم على الشعوبِ المفتوحةِ** ، بل كلامُه يدلُّ على ضدِّ هذا الحسبان ، حيثُ ذكر أنَّ الشبانَ الذين انصرفوا إلى العربيةِ – شعرًا ونثرًا – ظلُّوا على دينهم ولم يفارقوه ، وهذه وإن كانت أمَّ النقائِصِ فيهم ، إلَّا أنَّها تدلُّ دلالةً قاطعةً على أنَّ اللغةَ العربيةَ إذا خُلِّي بينها وبين النَّاسِ ، اكتسحتْ جميعَ ما يعترضُ طريقَها من لغاتٍ .



وأما عدمُ إسلامِ أولئك الشبانِ المذكورين وأمثالِهم من أهلِ الأندلسِ ، فله أسبابٌ تُطلبُ من مَظَانِّهَا في تاريخِ انتشارِ الإسلامِ في الأندلسِ ، ثم انحسارِ موجِ المسلمين عن ذلك القُطْرِ الضائعِ السليبِ .

○ **أمَّا سيادةُ هذه اللغةِ لُغَاتِ العالَمِ كلِّه ؛ فذلك لأنَّ** الكتابَ الخاتمَ نزلَ بها ، وتكَفَّلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بحفِظِهِ .

فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] ، فهي لغةٌ محفوظةٌ .

**وقد قرَّر علماءُ اللغةِ المُحْدَثون :**

أنَّ اللغاتِ التي يظنُّ بها السيادةَ اليومَ : **لا تملكُ أن تدفعَ عن نفسِها عاديةَ التغيُّرِ حتَّى تصيرَ كأنَّها لغةٌ جديدةٌ ، وأنَّ أقصى عمرٍ لأيِّ لغةٍ من اللغاتِ الحيَّةِ** المعاصرةِ هو : **قرنان من الزمانِ** .

**اما العربيةُ** : فارتباطُها بـ « القرآنِ الكريمِ » : جعلَ لها ظرفًا خاصًّا لم يُتَحْ لأيٍّ من لغاتِ العالمِ كلِّها .

● **وهنا ؛ كلامُ عالمٍ من أهلِ الذكرِ في هذا الشأنِ، هو أستاذُنا الدكتور رمضان عبد التواب يقولُ :**

«**للعربيةِ الفصحى ظرفٌ خاصٌ، لم يتوفَّر لأيَّة لغةٍ من لغاتِ العالمِ**، وهذا الظرفُ يجعلنا نرفضُ ما ينادي به **بعضُ الغافلين والمغرِضين**، مِن تركِ الحبلِ على الغاربِ للعربيةِ الفصحى، لكي تتفاعلَ مع العاميّاتِ، تأخذُ منها وتُعطي، كما يحدثُ في اللغاتِ كلِّها..

غير أنَّ العربيةَ الفصحى، لها - كما قلنا - ظرفٌ لم يتوفَّر لأيَّةِ لغةٍ من لغاتِ العالمِ، **ذلك** ؛ أنَّها ارتبطت بـ «**القرآنِ الكريمِ**»، منذ أربعةَ عشرَ قرنًا، ودُوِّن بها التراثُ العربيُّ الضخمُ، الذي كان محورُه هو القرآنَ الكريم في كثيرٍ من مظاهرِهِ.

**وقد كفلَ اللّهُ لها الحفظَ ما دام يحفظُ دينَه، فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .**



ولولا أن **شَرَّفَهَا اللَّهُ عزَّ وجلَّ**، فأنزلَ بها كتابه، وقيَّضَ له من خلقِهِ مَنْ يتلوه صباحَ مساءَ، ووعد بحفظِهِ على تعاقبِ الأزمانِ - **لولا كلُّ هذا** : لأمست العربيةُ الفصحى لغةً أَثَرِيَّةً، تشبه اللاتينيةَ أو السنسكريتية، ولسادت اللهجاتُ العربيةُ المختلفةُ، في نواحي الأرضِ العربيةِ، وازدادت على مرِّ الزمانِ بُعْدًا عن الأصلِ الذي انسلختْ منه.

هذا هو السرُّ الذي يجعلنا لا نقيس العربيةَ الفصحى، بما يحدثُ في اللغاتِ الحيَّةِ المعاصرةِ، فإنَّ أقصى عمرِ هذه اللغاتِ، في شكلِها الحاضرِ، لا يتعدى قرنين من الزمانِ، فهي دائمةُ التطوُّرِ والتغيُّرِ، وعرضةٌ للتفاعلِ مع اللغاتِ المجاورة، تأخذُ منها وتُعطي، ولا تجد في كلِّ ذلك حرجًا ؛ لأنَّها لم ترتبط في فترةٍ من فتراتِ حياتِها بكتابٍ كريمٍ، كما هي الحالُ في العربيةِ»[1].

(١) «فصول في فقه العربية» للدكتور رمضان عبد التواب (ص٤١٤).

○ **وممّا لا شك فيه** ؛ أنَّ للبيئةِ أثرًا غير منكورٍ في لسانِ أهلها ، كما أنَّ لها أثرًا في طبائِعهِم وعاداتِهم ، وقد لَحَظَ ذلك قدامى نقادِ العربِ .

**فقال القاضي الجرجاني :**

« **سلامةُ اللفظِ** : تتبعُ سلامةَ الطَّبعِ ، **ودَمَاثةُ الكلامِ** : بقدر دَمَاثةِ الخِلقة ، وأنت تجدُ ذلك ظاهرًا في أهلِ عصرِك وأبناءِ زمانك ، **وترى الـجَافي الجِلْفَ منهم** : كَزَّ الألفاظِ ، معقَّدَ الكلامِ ، وَعْرَ الخطابِ ؛ حتَّى إِنَّك ربَّما وجدتَ ألفاظَه في صوتِهِ ونغمتِهِ ، وفي جَرْسِهِ ولهجتِهِ ، ومن شأنِ البداوةِ أن تُحدِثَ بعضَ ذلك ؛ ولأجلِهِ قالَ النبيُّ ﷺ : « مَنْ بَدَا جَفا »[1] ، ولذلك تجدُ شعرَ عَديٍّ – وهو جاهلي – أسلسَ من : شعرِ الفرزدقِ ،

(١) أخرجه أحمد وابن عدي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ بَدَا جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ ، وَمَا ازْدَادَ أَحَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا » [ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٢٧٢ ] .



ورجَزِ رُؤْبة ، وهما آهلان ؛ لملازمةِ عَدِيٍّ الحاضرةَ وإيطانِهِ الريفَ ، وبُعْدِهِ عن جلافة البَدْو وجفاءِ الأعراب »[1] .

○ **وقد خَصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَ أولئك العربَ** الذين حَفُّوا بالبيتِ العتيقِ بالحريةِ التامَّةِ الخالصةِ ، فلم يعرفوا عبوديةً لبشرٍ .

**يقول هِرْدِر** : « يظهرُ أنَّ جزيرةَ العربِ – **وهي من بقاعِ الدنيا الممتازة** – : قد أعدَّتها الطبيعةُ – كذا – لِتَهَبَ لشعوبِها خُلقًا خاصًّا ، فكأنَّ الباديةَ الكبرى التي تمتدُّ بين مصرَ وسوريةَ ومن حلبَ إلى الفراتِ **قُطْرٌ تَتَرِيٌّ جنوبيٌّ** ، فما فتئ هذا القُطْرُ ، الذي هو مجالٌ واسعٌ لقبائلَ من الأعرابِ والرُّعَاةِ الرُّحَّلِ ، يكون قَبْضَةَ عربٍ متنقِّلين منذ أحقابٍ ، فَطِرازُ حياةِ هؤلاءِ القومِ ، الذين يعُدُّون المِصْرَ سجنًا ، يقضي بقيامِ فخرِهم على قِدَمِ

(١) « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني (ص١٨) .

عرقهم وباعتمادِهم على ربهم، وعلى غِنَى لغتهم وشعرِهم، وعلى رشاقةِ خيولهم، وعلى لمعانِ سيوفهم، وعلى جِرَابهم التي يعتقدون أنَّها أمانةٌ في أيديهم، فيمكنكم أن تقولوا، والحالةُ هذه، إنَّ جميعَ هذه الأمورِ قد هيَّأتهم منذ زمنٍ بعيدٍ للدورِ الذي يمثِّلونه ذاتَ يومٍ في أجزاءِ العالَمِ الثلاثةِ، ولكن على وجهٍ يخالفُ شأنَ تَترِ الشمالِ مخالفةً تامَّةً[1].

هذه الحريةُ التي عاشها العربُ، الذين نزلَ القرآنُ بلغتهم، حولَ البيتِ العتيقِ كان لها أثرٌ في لغتهم من غيرِ شكٍّ، **حتى لتستطيعَ القولَ**: إنَّ لغتَهم هي لغةُ الحريةِ، وقد مرَّ قولُ الرافعي - رحمه اللَّهُ -: وكثرةُ مشتقَّاتِهَا - **أي**: اللغة العربية -: برهانٌ على نزعةِ الحرية وطِماحها، فإنَّ روحَ الاستبعادِ ضيِّقٌ لا يتَّسع، ودأبه لزومُ الكلمةِ والكلماتِ القليلةِ.

(١) «تاريخ العرب العام» لسيديُو ترجمة عادل زعيتر (ص٢٦).



**○ وهنا قولُ الأستاذ محمود شاكر:**

«إنِّي أرى اللجوءَ إلى «**الرمز**»، ضربًا من **الجُبْنِ** اللغويِّ!! **فاللغةُ** إذا اتَّسمت بِسِمةِ الْجُبْنِ كَثُرَ فيها «**الرمز**» وقلَّ فيها الإقدامُ على التعبيرِ الواضحِ المفصحِ.

**ولا تَقُلْ** إنَّ «**الكناية**» شبيهةٌ بـ«**الرمزِ**»، فهذا باطِلٌ من قِبَلِ الدراسةِ الصحيحةِ لطبيعةِ «**الرمزِ**» وطبيعةِ «**الكناية**» و«**المجاز**».

وأنا أستنكفُ من «الرمز» في العربيةِ، لأنَّ للعربيةِ شجاعةً صادقةً في تعبيرها، وفي اشتقاقِها، وفي تكوين أحرُفها، ليست للغةٍ أخرى»[1].

○ وقد خصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أولئك العربَ بالفَضْلِ، «وسببُ ما اختُصُّوا به من الفضلِ - واللَّهُ أعلمُ -: ما جعلَ اللَّهُ لهم من العقولِ والألسنةِ والأخلاقِ والأعمالِ.

(١) «أباطيل وأسمار» للأستاذ محمود شاكر (ص٤٣٥).

**وذلك**؛ أنَّ الفضلَ إمَّا بالعلمِ النافعِ أو العملِ الصالحِ، والعلمُ له مبدأٌ: وهو قوةُ العقلِ الذي هو الفهمُ والحفظُ، **وتمامٌ**: وهو قوةُ المنطقِ الذي هو البيانُ والعبارةُ.

**فالعربُ**؛ هم أفهمُ وأحفظُ، وأقدرُ على البيان والعبارةِ، ولسانُهم أتمُّ الألسنةِ بيانًا وتمييزًا للمعاني.

**وأمَّا العملُ**: فإنَّ مبناه على الأخلاقِ، وهي الغرائزُ المخلوقةُ في النفسِ؛ فغرائزهم أطوعُ من غرائزِ غيرهم، **فهم أقربُ إلى السخاءِ والحلمِ والشجاعةِ والوفاءِ من غيرهم**، ولكن حازوا قبلَ الإسلامِ طبيعةً قابلةً للخيرِ معطلَّةً عن فعلِهِ، ليس عندهم علمٌ منزَّلٌ ولا شريعةٌ مأثورةٌ ولا اشتغلوا ببعض العلوم، **بخلافِ غيرهم**: فإنَّهم كانت بين أظهرِهم الكتبُ المنزَّلَةُ وأقوالُ الأنبياءِ، **فضلُوا**؛ لضعفِ عقولهم وخُبثِ غرائزهم.



**وإنَّما كان علمُ العربِ**: ما سمحت بِهِ قرائحُهم من الشعرِ والخُطَبِ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواءِ والنجومِ والحروبِ، فلمَّا بعثَ اللَّهُ **محمدًا** ﷺ بالهدى تلقَّفوه عنه بعد مجاهدةٍ شديدةٍ، ونقلهم اللَّهُ عن تلك العاداتِ الجاهليةِ التي كانت قد أحَالتْ قلوبهم عن فطرتِها، فلمَّا تلقَّوْا عنه ذلك الهدى زالت تلك الرَّيونُ عن قلوبهم، فقبلوا هذا الهدى العظيم، وأخذوه بتلك الفطرةِ الجديدةِ، **فاجتمع لهم الكمالُ** بالقوةِ المخلوقة فيهم، **والكمالُ** الذي أنزله اللَّهُ إليهم، بمنزلةِ أرضٍ طيبةٍ في نفسِها، لكن هي معطَّلةٌ عن الحرث، أو قد نبتَ فيها شجرُ «العضاهِ» و«العوسَج»، وصارت مأوى الخنازيرِ والسِّباعِ، فإذا طَهُرَتْ عن ذلك المؤذي من الشجرِ وغيره من الدوابِّ، وازدُرِعَ فيها أفضلُ الحبوبِ أو الثمارِ جاء فيها من الحَبِّ والثمرِ ما لا يُوصفُ مثلُه.

**فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضلَ خَلْقِ اللهِ سوى الأنبياء** ، وصار أفضلُ النَّاسِ بعدهم مَن اتَّبَعَهم بإحسان – رضي اللَّهُ عنهم – إلى يوم القيامةِ من العربِ والعجمِ »[1] .

○ **ولمّا كان** : « ( البيانُ ) ؛ هو نعمةَ اللَّه الكبرى التي أنعمَ بها على عبادِهِ من كل جنسٍ ولونٍ ، **وكذلك علّمنا ربُّنا سبحانه إذ قال** : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤] ، **فَمَنِ استهانَ بالكلمةِ** : فقد استهانَ بأفضلِ آلاءِ اللَّهِ على عباده ، وبالنعمةِ الكبرى التي أخرجته من حَدِّ البهيمةِ العجماءِ إلى حَدِّ الإنسانِ الناطقِ »[2] .

لمَّا كان « **البيانُ** » و « **الكلمةُ** » بهذه المثابةِ ؛ فقد أنعمَ اللَّهُ على العربيةِ بخاصيةِ « **الإبانةِ** » أو خاصيةِ

(١) « جامع الرسائل لابن تيمية » ت الدكتور رشاد سالم ، المجموعة الأولى (ص٢٨٩) .

(٢) « أباطيل وأسمار » لمحمود شاكر (ص٥٦٢) .



« التعبيرِ » ، أجلَّ ما يكون الإنعامُ ، فهي لغةٌ مُعَبِّرَةٌ .

« **وليس من الغَلَوّ في وَصْفِ اللغةِ المعبّرَةِ أن يقالَ** : إنَّك تضعُ مُعْجَمَهَا بين يديك ، فكأنَّما قد وضعتَ أمامك قواعدَ تاريخها ومعالِمَ بيئتها ، ولم تدع لمراجِعِ التاريخِ والجغرافيةِ غيرَ تفصيلاتِ الأسماءِ والأيامِ .

و « **اللغة العربيةَ** » في طليعةِ اللغاتِ المعَبِّرةِ بين لغاتِ العالَمِ الشرقيةِ والغربيةِ ، فلا يعرف علماءُ اللغاتِ لغةَ قومٍ تتراءى لنا صفاتُهُم وصفاتُ أوطانهم من كلماتِهِم وألفاظهم كما تتراءى أطوارُ المجتمعِ العربيِّ من مادَّةِ ألفاظِهِ ومفرداتِهِ في أسلوبِ الواقعِ وأسلوبِ المجاز »[1] .

○ ○ ○

(١) « اللغة الشاعرة » للعقاد (ص٧١) .

# اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةٌ سَهْلَةٌ

قامَ الصِّراعُ بين **الإسلامِ** من جانبٍ ، **والنِّحَلِ الفاسدةِ والمللِ الكافرةِ** من جانب آخر ، منذ اليومِ الأولِ الذي صدعَ فيه النبيُّ ﷺ بأمرِ ربِّه في تبليغِ رسالتهِ ، ثمَّ لم يزل يشتدُّ إلى يومِ النَّاسِ هذا .

وكان **أهمُّ ميدانٍ** من ميادين الصِّراعِ بين الإسلامِ وخصومِهِ هو « **اللُّغة العربية** » نفسها ، لغة « **القرآن** » العظيمِ ، ولغة **النَّبيِّ** الكريم ﷺ .

حتَّى إنَّه كان في منتصفِ القرنِ الماضي مَنْ يدعو إلى كتابةِ العربيةِ بالحروفِ اللاتينية[١] ، **ومِن عجبٍ** ؛ أنَّه كان يدَّعي أنَّه يريد المحافظَة على الفُصحى !

**وردَّ الشيخُ أحمد شاكر قائلًا :**

« ما أظنُّ عاقلًا يُخْدَعُ بعد ذلك **فيصدِّق الباشا** في

(١) هو عبد العزيز فهمي باشا !!



ادِّعائه : **أنَّه يريد المحافظَةَ على العربية الفصحى** ، وهو يسخطُ عليها كلَّ هذا السُّخْطِ ، ويندِّدُ بها كلَّ هذا التنديدِ ، بل يندِّدُ بالأممِ المنفصلةِ سياسيًّا أن لم يَدُرْ بخَلَدِ أحدٍ من أهلِها أن يجعل من لهجتِهِ لغةً قائمةً بذاتِها لها نَحْوُهَا وصرفُهَا !!

فإن لم تكن هذه دعوةً صريحةً إلى تمزيقِ العربية إلى لغاتٍ عدَّةٍ - كما فعلَ الفرنسيون والإيطاليون والأسبانُ - فما ندري كيف تكون الدعوةُ ، بل لا يدري أحدٌ من النَّاسِ »[١] !

**وكانت الدعوةُ إلى العامِّية قد ظهرت كالرِّجْس النَّجِسِ ، وتولَّى كِبرها أحمد لطفي السيد** ؛ فدعا إلى تمصير اللغةِ وإلى كثيرٍ من الهراءِ تعرفه متى طالعت كتاب الأستاذ محمود شاكر « **أباطيل وأسمار** » في المقالة الحادية عشرة ومواضعَ أُخَرَ في هذا الكتابِ

(١) « الشرع واللغة » لأحمد محمد شاكر (ص٥٥) .

الجليلِ ، وأيضًا تتضح لك صورةُ الدعوة إلى العاميّةِ وتاريخها في كتاب « **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر** » ، للدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، وهو الكتابُ الذي قال عنه الأستاذ محمود شاكر : « **لو كان لي من الامرِ شيء** ؛ لأمرتُ أن يُطبع هذا الكتابُ ليكون في يدِ كلِّ شابٍّ وشابَّةٍ ، وكلِّ رجلٍ وامرأةٍ ، ويكون له مختصرٌ ميسَّرٌ لكلِّ مَنْ مكَّنه اللَّهُ من القراءة »[١] .

« **والعامية ظاهرة في كلِّ اللغاتِ** ، وهي لازمت العربيةَ منذ أقدمِ عصورِها دون أن تزحزحها عن ميدانِها الأدبي ، وكان اهتمامُ العلماءِ القدامى بدراستها جزءًا من اهتمامهم بالفصحى .

**لكنَّ هذه الظاهرة** - **أي** : وجود الفصحى والعامية في اللغةِ العربية - : اعتُبرتْ في عصرنا مشكلةً ؛ **أرجع إليها أسبابُ تأخُّرِ أبناءِ العربية** ، واقتُرِحَ حلُّها : اتخاذُ

(١) « أباطيل وأسمار » لمحمود محمد شاكر (ص١٥٤) .



العاميةِ لغةً للأدبِ والكتابةِ حتى تكون لنا لغةٌ واحدةٌ للحديث والكتابةِ .

قد تبدو هذه الدعوةُ غريبةً في ذلك العصرِ ؛ الذي نعتبره : عصرَ إحياءٍ للغةِ العربيةِ ، والذي نرى فيه القوميةَ العربيةَ [ كذا ] تزداد تماسكًا وترابطًا .

ولكنَّ هذه الغرابة لا تلبثُ أن تزولَ عندما نعرفُ أنَّ **مصدرَ هذه الدعوةِ اجنبيٌّ** ، كما اتَّضحَ لي من دراسةِ الكتبِ الأجنبيةِ التي تناولت دراسةَ اللهجةِ المصريةِ ، وخاصة ما كان منها في أوائل عهد الاحتلالِ البريطاني في مصر »[١] .

◌ وضعت تلك الدعواتُ وليدَ سُوئها ، واستقرَّ في الأذهانِ أنَّ العربيةَ لغةٌ صعبةٌ ، وعلى وجه التحديد نحوها وصرفها .

(١) « تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر » للدكتورة نفوسة زكريا سعيد (ص٨) .

**وليس من شكٍّ**؛ أنَّ قواعدَ اللغة قد صيغت في بعضِ جوانبها صياغةً عسيرةً على الفهمِ، ولكنَّ الحملَ على الفصحى بالصعوبةِ والشذوذِ دون لغاتِ العالمين أمرٌ لا يخفى ما فيه من الحَيْفِ والجورِ، بل غيرها من اللغاتِ أعرقُ في الصعوبةِ منها، وأمعنُ في العُسْرِ منها، ثمَّ إذا كان هناك عُسْرٌ فلندعُ إلى التيسير لا إلى الهَجْرِ أو التغييرِ!

**قال الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله -:**

«ليس معنى تيسير النحوِ أن نقضيَ على قواعدِهِ الأساسيةِ، وعلى اصطلاحاتِ جمهورِ النحاةِ التي تشرَّبتها الأجيالُ وسَرَتْ في العروقِ والدماءِ، أعني عروقَ التراثِ الإسلاميِّ ودماءَ الثقافةِ العربية، فالترابطُ وثيقٌ شديدُ الصِّلَةِ بين علمِ النحوِ، والبلاغةِ، والتفسيرِ، والحديثِ، والفقهِ الإسلاميِّ، ونصوصِ الأدبِ العربيِّ؛ جاهلية وإسلامية، وبين كثيرٍ غيرها من فروعِ الثقافةِ العربيةِ..



إنَّنا ننادي بتيسيرِ النحوِ، وبتيسيرِ غيرِ النحوِ، بل بتيسيرِ **كلِّ صعبٍ في هذا الوجودِ**، ولكنَّا **لا نغفرُ**: أن تُمَسَّ أصولُ العربيةِ؛ **استنادًا إلى آراءِ بعضِ شُذَّاذِ النحويين**، وارتكانًا إلى آراءٍ فرديةٍ لا تَمُتُّ إلى مدارسَ ذاتِ قَدْرٍ موزونٍ»[1].

● وليست العربيةُ بِدْعًا؛ في صعوبةِ **نحوها وصرفها**، ويبيِّنُ هذا عالمٌ من أهلِ الذكرِ درسَ إلى العربية غيرها من لغاتِ الشرقِ والغربِ، وحُكمه في ذلك لا شكَّ في عدلِهِ وإنصافِهِ.

**يقولُ استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب:**

« يسودُ بين جمهرةِ المثقفين العربِ، **شعورٌ مدمِّرٌ** بأنَّ **لغتَنَا الجميلَةَ** العربيةَ الفصحى، **لغةٌ معقَّدةُ القواعِدِ**، صعبةُ التعليمِ، كثيرةُ الشذوذِ في مسائِلِها وقضاياها،

---
(١) «قطوف أدبية» لعبد السلام هارون (ص١٤٩).

بحيث تجعل مِنْ تعلُّمِهَا ، أو استخدامها والتحدُّثِ بها ، عبئًا ثقيلًا على أهلِها .

**ولقد انتهز المغرضون هذه الفرصةَ** ، وأخذوا يصيدون في الماءِ العَكِرِ ، ويَدْعون إلى استخدامِ العاميةِ ، وهجرِ الفصحى أو خلطِها بالعاميةِ ، وهي دعوةٌ حَمَلَ لواءَها منذ فترةٍ طويلةٍ ، المعادون للإسلامِ وأهلِهِ ؛ فادَّعَوْا أنَّ إعرابَ العربيةِ الفصحى ، أمرٌ عسيرُ التعليمِ ، **ليصرفوا المسلمين عن منبعِ دينهم** ، وعمادِ شريعتهم ، ودستورِ حياتهم ، وهو القرآن الكريمُ ، الذي أنزله اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، بهذه العربيةِ الفصحى .

**والحقُّ** ؛ أنَّ هذا الإعرابَ ، الذي يوصفُ بأنَّه معقَّدٌ وصعبٌ ، لا تنفردُ به العربيةُ الفصحى وحدها ، بل **إنَّ هناك لغاتٍ كثيرةً ، لا تزال تحيا بيننا ، وفيها من ظواهرِ الإعرابِ المعقَّدِ ، ما يفوقُ إعراب العربيةِ بكثيرٍ .**



**فهذه هي اللغة الألمانيةُ مثلًا ، تقسّمُ أسماءَها اعتباطًا إلى مذكرٍ ومؤنثٍ ، وجنسٍ ثالثٍ لا تعرفه العربيةُ ، وهو « المحايد »** ، وتضعُ لكلٍّ واحدٍ من هذه الأجناسِ الثلاثةِ ، **أربعَ حالاتٍ إعرابية ، هي حالات** : الفاعلية ، والمفعولية ، والإضافة ، والقابلية .

**وهذه الحالَةُ الأخيرةُ** ، لا تعرفها العربيةُ ، وهي إعرابُ المفعولِ الثاني ، فهي من حالاتِ المفعولية في العربية ، وليست حالةً خاصَّةً فيها . تلك هي حالاتُ إعرابِ الاسم المفردِ المعرَّفِ في **الألمانيةِ** . والمفردُ المنكَّرُ له أربعُ حالاتٍ أخرى ، وكذلك الجمعُ المعرَّفُ والجمعُ المنكَّرُ .

**وبناءُ الجملةِ في اللغةِ الألمانية ، له نظامٌ صارمٌ** ؛ فالفعل يحتلُّ فيها المرتبة الثانيةَ دائمًا ، إلَّا في الجُمَل الفرعيةِ ؛ كالجُمَلِ التعليليةِ مثلًا ، فإنَّ الفعلَ يؤخَّرُ فيها إلى نهايةِ الجملةِ . وإنَّ مَنْ يشكو من كثرةِ جموعِ التكسيرِ في العربيةِ ، وغَلَبَةِ الشذوذِ على قواعدِ هذا

الجمعِ فيها ، **سيحمدُ للعربيةِ الاطرادَ النسبيَّ في هذه القواعدِ ، إذا دَرَسَ اللغةَ الألمانية** ، ورأى كثرةَ صيغِ هذه الجموعِ فيها ، وفقدان القاعدةِ التي تخضعُ لها تمامًا ، **إلى درجةٍ** أنَّ كلَّ كتابٍ في تعليمِ قواعدِ الألمانيةِ ، تبدأ صفحاتُه الأولى بهذه العبارةِ : « **احفظ مع كلِّ اسمٍ** ، أداةَ تعريفِهِ ، **وصيغةَ جمعِهِ ؛ لأنَّه ليست هناك قاعدةٌ لذلك** » .

**فليست العربيةُ - إذن - بِدْعًا بين اللغاتِ ، في صعوبةِ القواعدِ ، غير أنَّ شيئًا من هذه الصعوبة ، يعودُ بالتأكيدِ إلى طريقةِ عَرْضِ النحويين لقواعدِها** ؛ فقد خلطوا في هذه القواعدِ بين الواقعِ اللغويِّ والمنطقِ العقليِّ ، وبعدوا عن وَصْفِ هذا الواقعِ إلى المماحكاتِ اللفظيةِ ، وامتلأت كتبُهم بالجدلِ والخلافاتِ العظيمةِ ؛ فضلَّ **المتعلِّمُ** وَسْطَ هذا الركامِ الهائلِ من الآراءِ ، المتناقضةِ في بعضِ الأحيان .



**والحقيقةُ** ؛ أنَّ القواعدَ الأساسيةَ ، لنحو اللغةِ العربيةِ ، يمكن أن تُستخلصَ في صفحاتٍ قليلةٍ ، مُصفَّاةٍ من هذا الحشوِ ، الذي لا طائلَ وراءَه »[1] .

## ○ اعْتراضٌ مَدْفوعٌ ○

**عقدَ الخطيبُ البغداديُّ** - رحمه اللَّهُ - في « اقتضاء العلم العمل » بابًا في : « مَنْ كره تعلُّمَ النحو لما يُكسب من الخيلاءِ والزهو » ، **ساق فيه** : أقوالًا في **ذمِّ تعلُّمِ النحو** ، مدارها على الزهادِ والنُّساك ، من أمثالِ مالكِ ابن دينارٍ ، وإبراهيم بن أدهم ، وبشرِ بن الحارث ، ومَنْ لم يُسَمَّ للخطيب - رحمه اللَّهُ .

○ وليس أبلغ في ردِّ هذه الأقوال من ذكر أحدها ، وإن كان بباب النُّكات أشبه منه ببابٍ في اللغة والعلم والدين .

---

(١) « فصول في فقه العربية » للدكتور رمضان عبد التواب (ص٤١٥) .

أخرج الخطيب بسندِهِ، عن محمد بن المثنى السمسار، قال:

« كنَّا عند بِشْرِ بن الحارثِ وعنده العباسُ بن عبد العظيم العنبري، وكان من سَادَاتِ المسلمين، **فقال له**: يا أبا نصر أنت رجلٌ قد قرأتَ القرآنَ وكتبتَ الحديث، فلِمَ لا تتعلَّم من العربية ما تعرف به اللحنَ؛ حتى لا تلحن؟

**قال**: ومَنْ يعلمني يا أبا الفضل؟ **قال**: أنا يا أبا نصر. **قال**: فَافْعَلْ.

**قال**: **قُل**: ضَرَبَ زيدٌ عمرًا. **قالَ**: **فقالَ له بِشْرٌ**: يا أخي ولِمَ ضربه؟ **قال**: يا أبا نصر ما ضَرَبَه؛ وإنَّما هذا أصلٌ وضِعَ.

**فقال بِشْرٌ**: هذا أوَّله كذبٌ لا حاجةَ لي فيه »[1].

(١) « اقتضاء العلم العمل » للخطيب البغدادي (ص٩٤).



● **ومثلُ هذا التلبيسِ يدفعه الخطيبُ - رحمه اللَّهُ - نفسُه**، فقد عقد في كتابه « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » بابًا في: « الترغيب في تعلُّم النحوِ والعربيةِ لأداء الحديث بالعبارةِ السويَّةِ »، ساق فيه باسناده، عن نافع: **أنَّ ابنَ عمر - رضي اللَّه عنهما**: كان يضربُ ولَدَهُ على اللَّحْنِ، ولا يضربُهُم على الخَطَأ.

**وعن الشعبيِّ قال**: **النحو** في العلمِ **كالملحِ** في الطعامِ، لا يُسْتَغْنَى عنه »[1].

**فلا تهولنّك أمثالَ هذه المقالاتِ**؛ فإنَّ لها وجوهًا تحملُ عليها مع إحسانِ الظنِّ بقائليها.

**وأمَّا أنت**: فاجتهد في تصحيحِ النيةِ للَّهِ في طلبِك لما تفهمُ به كتابَ اللَّهِ وسنَّةَ رسولِهِ ﷺ.

(١) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي (٢/٢٤)، وانظر أيضًا « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (ص٤٦٥).

**واعلم**؛ أن أبا عبيد القاسم بن سلَّامٍ - رحمه اللَّه - قال في الشافعيّ - رحمه اللَّه تعالى - : « كَانَ الشافعيُّ: مِمَّنْ يُؤْخَذُ عنه اللغةُ »[1] .

فتدبَّر أحوال الأئمة تعلم أين الصواب .

○ ○ ○

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» للرازي (ص١٣٦).



## عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ
## تَعَلُّمُ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْلِيمُهَا فَرْضٌ

◎ **لعلَّه راعك - أيها القارئُ الكريمُ - أنّي ذكرتُ فرضيةَ تعلُّم العربيةِ وتعليمِهَا قبْلًا ثمّ أكرّره عليك الآن مرةً أخرى .**

**لكن هَوِّن عليك** - أيها القارئُ الكريمُ - ، **واعلم**: أنَّ علماءَ الأصولِ - أصولِ الفقهِ - ، قد ذكروا للمجتهدِ شروطًا - وإن كانت مثارَ خلافٍ قائمٍ إلَّا أنَّ بعضها ممَّا لا خلافَ عليه - جعلوا منها ما يتعلَّقُ بلغة الكتابِ العزيز .

**قالَ في « الإبهاج » في شروطِ المجتهدِ :**

« **علمُ العربيةِ**، لغةً ، ونحوًا ، وتصريفًا ، **فليعرف**

**القَدْرُ** الذي يُفهم به خطابُ العربِ ، وعاداتهم في الاستعمالِ ، إلى حَدٍّ يميِّزُ به من صريحِ الكلامِ ، وظاهرِهِ ، ومجملِهِ ، ومبينه ، وحقيقتِهِ ، ومجازِهِ ، وعامِّه ، وخاصِّه ، إلى غير ذلك ، **وليس عليه أن يبلغَ مبلغَ الخليلِ بن أحمد** »[١] .

**وقال أبو إسحاق الشيرازي - رحمه اللَّهُ - في صفةِ المفتي :**

« ويعرفُ الطرقَ التي يعرفُ بها ما يحتاجُ إليه من الكتابِ والسنَّةِ ؛ من أحكامِ الخطابِ ، وموارِدِ الكلامِ ومصادرِه من الحقيقةِ والمجازِ ، والعامِّ والخاصِّ ، والمجملِ والمفصَّلِ ، والمطلَقِ والمقيَّدِ ، والمنطوقِ والمفهومِ ، **ويعرف من اللغةِ والنحو ما يعرف به مرادَ اللَّهِ تعالى ومرادَ رسولِهِ ﷺ في خطابهما** »[٢] .

(١) « الإبهاج في شرح المنهاج » لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب (٣/٢٥٥) .

(٢) « اللمع في أصول الفقه » لأبي إسحاق الشيرازي (ص١٢٧) .



○ **هذان نموذجان** من كلامِ العلماءِ قديمًا في اشتراطِ معرفةِ العربيةِ للمجتهدِ ، وهنا نموذجٌ من كلامِ المعاصرين .

○ **قال الدكتور عبد الكريم زيدان في أولِ شرطٍ من شروطِ الاجتهادِ :**

« **على المجتهدِ أنَّ يعرفَ اللغةَ العربية** ، على وجهٍ يتمكَّن به من فهمِ خطابِ العربِ ، ومعاني مفرداتِ كلامهم وأساليبهم في التعبيرِ ، **إمَّا بالسليقةِ**[١] ، **وإمَّا بالتعلُّمِ** ؛ بأن يتعلَّم علومَ اللغةِ العربية من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وأدبٍ ومعانٍ وبيانٍ ، **وإنَّما كان تعلُّمُ اللغةِ العربيةِ على هذا الوجهِ ضروريًّا للمجتهدِ ؛ لأنَّ نصوصَ الشريعةِ وردتْ بلسانِ العربِ فلا يمكن فهمُهَا واستفادَةُ الأحكامِ منها إلَّا بمعرفة اللسانِ العربيِّ على نحوٍ جيدٍ** ، لاسيما

(١) لا تكون السليقة اللغوية في هذا الزمان بغير التعلُّم ، لأنَّ أحدًا لا يعاشر أعرابًا أقحاحًا يتلقى عنهم اللغة من صغره ، بل لا بد من **التعلُّمِ في كلِّ** حالٍ .

وإنَّ نصوصَ الكتابِ والسنَّةِ وردت في غايةِ البلاغةِ والفصاحةِ والبيانِ، فلا يمكن فهمُهَا حقَّ الفهمِ وتذوُّقُ معانيها وإدراكُ ما تدلُّ عليه إلَّا بمعرفةِ اللغةِ العربيةِ والإحاطةِ بأساليبها في التعبيرِ وأسرارِها البلاغيةِ والبيانيةِ، وما تومِيءُ إليه كلماتُها وعباراتُهَا، وبقدر تَضلُّع المجتهدِ في معرفةِ اللسانِ العربيِّ تكون قدرتُه على فهم النصوصِ وإدراكِ معانيها القريبةِ والبعيدةِ، **ولكن لا يشترطُ في المجتهدِ أن يعرفَ اللغةَ معرفةَ أئمتها والمشهورين فيها، وإنَّما يكفيه منها القدرُ اللازم لفهمِ النصوص الشرعيةِ فهمًا سليمًا، يمكِّنه من معرفةِ المرادِ منها**»[1].

○ **ولو أنَّك تتبَّعتَ الشروطَ التي ذكرها العلماءُ في عامَّةِ كتبِ أصولِ الفقهِ، لوجدتَ شرطَ اللغةِ قائمًا لا يريم**، وأظنُّ هذا الأمرَ كان من الوضوحِ بحيث

(١) «الوجيز في أصول الفقه» لعبد الكريم زيدان (ص٤٠٢).



لا يُحتاجُ إلى الحديثِ عنه، وما كان من بحثنا أن نُطيلَ النَّفَسَ حتى ننتهيَ إلى أنَّ اللغةَ شرطٌ في المجتهدِ لا مناصَ له منه.

**إنَّما الكلامُ في هذا البحثِ**: عن عامَّةِ المسلمين عربًا وعَجَمًا، وعن العلماءِ ممَّن لم يبلغ مرتبةَ الاجتهادِ، وعن الخطباءِ والدعاةِ ومعلِّمي الدينِ، هل هؤلاء يلزمهم أن يتعلَّموا من العربيةِ ما يفهمون به كتابَ اللَّهِ، وسنَّةَ رسولِهِ ﷺ، أم يكفي أن يظلُّوا على أعجميتهم في العربيةِ، أو عجميتهم في غيرِها لا يُحسنون جميعًا من العربية شيئًا؟؟

والشوكانيُّ - رحمه اللَّه - بعدَ أن يذكرَ شرطَ اللغةِ في المجتهدِ، يذكر قولَ الشافعيِّ بوجوبِ أن يتعلَّمَ المسلمُ من لسانِ العربِ ما يبلغه جَهدُه في أداءِ فرضِهِ، ويذكر قولَ الماورديِّ بأن معرفةَ لسانِ العربِ فرضٌ على كلِّ مسلمٍ من مجتهدٍ وغيرِهِ.

**قالَ الشوكانيُّ - رحمه اللهُ -** :

« الشرطُ الثالثُ : - **أي : من شروطِ المجتهدِ - أن يكون عالمًا بلسانِ العربِ** ، بحيثُ يمكنه تفسير ما ورد في الكتابِ والسنَّةِ من الغريبِ ونحوه ، **ولا يشترط** أن يكون حافظًا لها عن ظهرِ قلبٍ ، **بل المعتبرُ** : أن يكونَ متمكِّنًا من استخراجِها من مؤلَّفاتِ الأئمةِ المشتغلين بذلك ؛ **وقد قرَّبوها أحسنَ تقريبٍ** ، وهذَّبوها أبلغَ تهذيبٍ ، ورتَّبوها على حروفِ المُعْجَم ترتيبًا لا يصعبُ الكشفُ عنه ، ولا يبعدُ الاطلاعُ عليه ، وإنَّما يتمكَّنُ من معرفةِ معانيها ، وخواصِّ تراكيبها ، وما اشتملت عليه من لطائفِ المزايا : مَنْ كان عالمًا بعلمِ النحوِ والصرفِ والمعاني والبيان ، حتى يثبتَ له في كلِّ فنٍّ من هذه مَلَكَةٌ[1] يستحضر بها كل ما يحتاج إليه

(١) انظر في تفصيل هذه « الْمَلَكَة » « مقدمة ابن خلدون » (ص٥٢٢) وما حولها .



عند وروده ، فإنَّه عند ذلك ينظرُ في الدليل نظرًا صحيحًا ، ويستخرجُ منه الأحكام استخراجًا قويًّا .

**ومَنْ جعلَ المقدارَ المحتاجَ إليه من هذه الفنون هو معرفة مختصراتِها أو معرفة كتابٍ متوسِّطٍ من المؤلَّفاتِ** الموضوعةِ فيها ، فقد أَبْعَدَ ؛ **بل الاستكثارَ من الممارسةِ لها** ، والتوسُّعُ في الاطِّلاعِ على مطوَّلاتِها : **مما يزيدُ المجتهدَ قوَّة في البحثِ** ، وبَصَرًا في الاستخراج ، وبصيرةً في حصولِ مطلوبِهِ .

**والحاصلَ** : أنَّه لا بُدَّ أن تثبتَ له الْمَلَكَةُ القويةُ في هذه العلومِ ، وإنَّما تثبت هذه الملكةُ بطولِ الممارسةِ وكثرةِ الملازمةِ لشيوخِ هذا الفنِّ .

**قالَ الإمامُ الشافعيُّ** : يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّمَ من لسانِ العربِ ما يبلغه جَهْدُه في أداءِ فَرْضِهِ .

وقالَ الماورديُّ : ومعرفةُ لسانِ العربِ فرضٌ على كلِّ مسلمٍ من مجتهد وغيرِه »[١] .

● **فانظر - رحمك الله -** ؛ كيف عقَّبَ هذا الإمامُ المحقِّقُ شرطَ اللغةِ في المجتهدِ بقولِ الإمامِ الشافعيِّ وبقولِ الماورديِّ ، **حتى يفصلَ بين ما يجبُ على المجتهدِ** من الإلمامِ باللغةِ إلمامًا مستفيضًا ، **وما يجبُ على المسلمِ** لفهمِ كتابِ ربِّه وسنَّةِ نبيِّه ﷺ .

● **والذي دفعنا إلى ذكْرِ المجتهدين أصلًا في هذا** المبحثِ ، **أن هناك خلطًا عند النَّاسِ - من غيرِ أهلِ العلمِ - في مفهومِ الاجتهاد** ، فهم يصرفونه إلى المجتهدِ المطلقِ ، ويستحضرون صورًا ذهنيةً لا تنطبق إلَّا على أمثالِ الأئمةِ الأربعةِ ، ويجعلونِ الكتابَ والسنَّةَ معطَّلَين عن الفهمِ فيهما ، والاستنباطِ منهما ؛ لأنَّه قلَّ أن تجد أحدًا يصل إلى رتبةِ الاجتهادِ المطلقِ التي وضعَ لها

(١) « إرشاد الفحول » للشوكاني (ص٢٥٢) .



بعضُ أهلِ الأصولِ شروطًا ربَّما لم تتوفَّر في أصحاب النبيِّ ﷺ ، وهكذا يخلطُ النَّاسُ .

**لذلك ؛ أنقلُ لك قولَ الآمدي - رحمه الله - بعد أن ذكر شرطَ المجتهد المطلق قال :**

« وذلك كلُّه إنَّما يُشْتَرَطُ في حقِّ **المجتهدِ** المطلقِ المتصدي للحكم والفتوى في جميعِ مسائلِ الفقه .

**وأمَّا الاجتهادُ في حكمِ بعضِ المسائل** : فيكفي فيه أن يكون عارِفًا بما يتعلَّقُ بتلك المسألةِ ، وما لا بُدَّ منه فيها ولا يضرُّهُ في ذلك جهلهُ بما لا تَعَلُّقَ له بها ، ممَّا يتعلَّق بباقي المسائلِ الفقهيةِ ، كما أنَّ المجتهدَ المطلقَ قد يكون مجتهدًا في المسائلِ الكثيرةِ ، بَالِغًا رُتْبَةَ الاجتهادِ فيها ، وإن كان جاهلًا ببعض المسائلِ الخارجةِ عنها ، فإنَّه ليس **من شرطِ المفتي أن يكون عالِـمًا بجميعِ أحكامِ المسائلِ ومدارِكها** ، فإن ذلك ممَّا لا يدخلُ تحتَ وسْعِ البشرِ .

**ولهذا ، نَقِلَ عن مالك** أَنَّه سُئِلَ عن أربعين مسألةً ، فقالَ في سِتٍّ وثلاثين منها :

## « لا أدري »[1]

**إذا** نظرتَ إلى كلامِ الشوكانيِّ والآمدي – السابق – رحمهما اللَّه – ، **ثم نظرتَ** إلى كلام الشاطبيِّ الآتي بعدُ إن شاءَ اللَّهُ – : **علمتَ أنَّ كلمة « الناظرِ »** في كلامِ الشاطبيِّ يمكن أن تتوجَّه إلى مُطْلَقِ الناظرِ في كتابِ اللَّهِ وسنَّةِ نبيِّه ﷺ ، ثمَّ يكون الأخذُ من اللغةِ على قَدْرِ الوسْعِ والطَّاقةِ .

○ **قال الشاطبيُّ – رحمه اللَّه – :**

« على « النَّاظِرِ » في الشريعةِ والمتكلِّم فيها أُصولًا وفروعًا أمران :

(١) « الإحكام في أصول الأحكام » للآمدي (٤/٢٢١) .



**أحدهما** : أن لا يتكلَّمَ في شيءٍ من ذلك حتَّى يكون عربيًّا[1] ، أو كالعربيِّ في كونِهِ عارِفًا بلسانِ العربِ ، بالغًا فيه مبالغَ العربِ ، أو مبالغَ الأئمةِ المتقدِّمين كالخليلِ وسيبويه والكسائي والفرَّاءِ ومَنْ أشبههم وداناهم ، **وليس المرادَ** أن يكون حافِظًا كحفظهم وجامِعًا كجمعهم .

**وإنما المرادُ** : أن يصيرَ فهمهُ عربيًّا في الجملةِ .. وقد خرَّجَ ابن وهبٍ عن الحَسَنِ أنَّه قيلَ له : أرأيتَ الرجلَ يتعلَّم العربيةَ ليقيمَ بها لسانه ، ويُصلحَ بها منطقه ؟ قال : نعم ، فليتعلَّمها ؛ فإنَّ الرجلَ يقرأُ فيعيا بوجهِها فيهلِكُ .

**والأمرَ الثاني** : أنَّه إذا أشكلَ عليه في الكتابِ أو في السنَّة لفظٌ أو معنًى فلا يُقْدِم على القولِ فيه دون أن يستظهره بغيره ممَّن له علمٌ بالعربيةِ ، فقد يكون إمامًا

(١) أي : يكون عربيًّا جنسًا ولغةً ؛ بدليل قوله بعدها : أو كالعربيِّ ، أي لغةً .

فيها ولكنَّه يخفى عليه الأمرُ في بعضِ الأوقات، **فالأولى في حقِّهِ الاحتياطُ**، إذ قد يذهبُ على العربيِّ المحضِ بعضُ المعاني الخاصَّةِ حتَّى يسأل عنها»[1].

**وخلاصة القول:**

**أنَّ العربيةَ من الدينِ، وأنَّ تعلُّمها لفهمِ مقاصدِ الكتابِ والسنَّةِ قربةٌ من أجلِّ القرباتِ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ**، وأنَّ معرفةَ ما يقيمُ به المسلم فَرْضَه فرضٌ واجبٌ عليه.

**وقد تقدَّم قولُ الشافعي - رحمه اللَّهُ -**: يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يتعلَّم من لسانِ العربِ ما يبلغه جهده في أداءِ فرضِهِ.

**وكذلك تقدَّم قولُ الماورديِّ**: ومعرفةُ لسانِ العربِ فَرْضٌ على كلِّ مسلمٍ من مجتهدٍ وغيرِهِ.

(١) «الاعتصام» للشاطبي (٢/٢٩٧).



**وهنا قولُ شيخِ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّهُ - قال:**

«إنَّ اللَّهَ لمَّا أنزلَ كتابَهُ باللسانِ العربيِّ، وجعلَ رسولَه مُبَلِّغًا عنه الكتابَ والحكمةَ بلسانِهِ العربيِّ، وجعلَ السابقين إلى هذا الدينِ متكلِّمين به: **لم يكن سبيلٌ إلى ضبطِ الدينِ ومعرفتِهِ إلَّا بضبطِ هذا اللسانِ، وصارت معرفتُه من الدينِ، وصار اعتيادُ التكلُّم به أسهلَ على أهلِ الدينِ في معرفةِ دينِ اللَّه، وأقربَ إلى إقامةِ شعائرِ الدينِ، وأقربَ إلى مشابهتهم للسابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصارِ في جميعِ أمورهم.**

**واللسانُ تقارنه أمورٌ أخرى**: من العلومِ، والأخلاقِ، فإنَّ العاداتِ لها تأثيرٌ عظيمٌ فيما يحبُّه اللَّهُ، وفيما يكرهه، فلهذا جاءت الشريعةُ بلزومِ عاداتِ السابقين في أقوالِهم وأعمالِهم، وكراهةِ الخروجِ عنها إلى غيرِها من غير حاجة»[1].

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٦٢).

وذكر الشيخ - رحمه اللهُ - في موضعٍ آخر: أنَّ **معرفة اللغة فرضٌ واجبٌ**، لأنَّ فهمَ الكتابِ والسنَّةِ فرضٌ واجبٌ، ولا سبيلَ إليه إلَّا بفهمِ العربيةِ، فكانت فرضًا واجبًا.

**قال شيخُ الإسلام - رحمه اللهُ تعالى -:**

«إنَّ نَفْسَ اللغةِ من الدِّينِ، ومعرفتُهَا فَرْضٌ واجبٌ، فإنَّ فَهْمَ الكتابِ والسنَّةِ فَرْضٌ، ولا يُفْهَمُ إلَّا بفَهْمِ اللغةِ العربيةِ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ»[1].

**وبعدُ**:

**فلعلَّ بعضَ الذين لا يستطيعون أن يفهموا واضحَ الكلامِ** - لعجزٍ في عقولهم أو فسادٍ في نياتهم -: **يظنُّون** أنَّا ندعو إلى العكوفِ على آثارِ المعاصرين من أصحاب القصصِ، أو أصحابِ القصيدِ - زعموا -،

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٢٠٧).



وتركِ الكتابِ والسنَّةِ بحجَّةِ الإلمامِ بالعربيةِ من أجلِ الدين، **ومَن ظنَّ هذا**: فأسألُ اللَّه أن يَمُنَّ عليه بمثلِ عقلِ الآدميين، أَوْ أن يريحَ الأرضَ من فسادِهِ وشَرِّ قَلبِهِ.

إنَّما أردتُ أن يُوليَ المسلمُ اللغةَ بعضًا من اهتمامِهِ، وشيئًا من جهده، فيقرأَ في كتبِ السلفِ ومَنْ سار على دربهم من **أصحاب الأدبِ الهادِفِ**، لا من أصحابِ الأهواءِ والمذاهب المُحْدَثَةِ، بل عليك **أن تستعينَ بالأدبِ** على ما في أخلاقِ هؤلاءِ من قلَّةِ الأدبِ!

**وعليك أن تعلمَ فسادَ حياتنا الأدبيةِ اليوم** بالنظر في «لمحة من فسادِ حياتنا الأدبية»[1]، و«رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» للأستاذ محمود محمد شاكر، والنظر في كتاب «تحت راية القرآن» للعلامة الرافعي - رحمه اللَّه -.

(١) «المتنبي» للأستاذ محمود شاكر (ص٦).

**ثمّ عليك بتصحيح النية في الطلبِ، وبذلِ المجهودِ، واجعل نُصْبَ عينيك قولَ القاضي الجُرجانيّ - رحمه الله - :**

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انقِبَاضٌ وإِنَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا عَن مَوقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا

وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبًا
مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا

إِذَا قِيلَ: هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ: قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَا مَطْمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
لِأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِن لأُخْدَمَا



أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذًا فَابْتِيَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا

وَلَو أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعَظَّمَا

● واللَّه عز وجل يتولّاك بحفظِهِ وتسديدِهِ، ويمنُّ عليك بالعلمِ والحلمِ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

**واستغفرَ اللّهَ العظيمَ** : من طغيانِ القلمِ، وسوءِ القصدِ، **وأعوذُ به** من فتنةِ المحيا والمماتِ، وفتنةِ العُجْبِ والكبرِ، **وأعوذُ به** من شرِّ كلِّ دابّةٍ هو آخذٌ بناصيتها إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم.

**واسألَ اللّهَ العظيم** بأسمائِهِ الحُسنى وصفاتِهِ العُلى أن يبارك في هذه السطورِ أبدًا، وأن ينفعَ بها كلَّ مسلمٍ يرجو اللَّهَ واليومَ الآخرَ، وأن يجعلها لي لا عليَّ. إنَّه على كل شيء قديرٌ.

والحمدُ للَّهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ .

والحمد للَّهِ أولًا وآخرًا ، وظاهرًا وباطنًا ، ودائمًا وسرمدًا .

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبه صلاةً وسلامًا دائمين إلى يومِ الدينِ .

وسبحانك اللهمَّ وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلَّا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّهِ ربِّ العالمين .

وكتب

**أبو عبد اللَّه**

**محمد بن سعيد بن رسلان**



## ○ المصادر والمراجع ○


1- القرآن الكريم .

2- آداب الشافعي ومناقبه - الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - تحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق - مكتبة التراث الإسلامي بحلب - بدون تاريخ .

3- أباطيل وأسمار - الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - طبعة ثانية 1972م .

4- الإبهاج في شرح المنهاج - الإمام علي بن عبد الكافي السبكي وولده عبد الوهاب - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى 1404هـ .

5- الإحكام في أصول الأحكام - الإمام أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي - دار الحديث - بدون تاريخ .

6- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - للشوكاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى 1356هـ.

7- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - العلامة محمد الأمين الشنقيطي - طبعة المدني 1386هـ.

8- الاعتصام - العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي - دار المعرفة - طبعة أولى 1402هـ.

9- إعجاز القرآن - القاضي أبو بكر الباقلاني - تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر - دار المعارف - طبعة خامسة - بدون تاريخ.

10- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - 1369هـ.



11- اقتضاء العلم العمل - الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي - تحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - ط. رابعة 1397هـ.

12- الإيمان - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - مكتبة أنس بن مالك - 1400هـ.

13- تاريخ آداب العرب - الأستاذ العلامة مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي ط. ثانية 1394هـ.

14- تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر - دار المعارف - الأستاذة الدكتورة نفوسة زكريا سعيد - ط. ثانية 1980هـ.

15- تاريخ العرب العام - سيديُّو - ترجمة الأستاذ عادل زعيتر - مكتبة عيسى البابي الحلبي - ط. ثانية 1389هـ.

16- تحت راية القرآن - الأستاذ العلامة مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي - ط. سابعة 1394هـ.

17- تفسير الطبري - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق العلامة محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر - ط. ثانية 1972م.

18- تفسير القرآن العظيم - الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير - دار إحياء التراث العربي ببيروت - ط. أولى 1405هـ.

19- تفسير القرطبي - الإمام أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الشعب - القاهرة.

20- جامع بيان العلم وفضله - للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد البر - دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ.



21- جامع الرسائل - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - مطبعة المدني - ط. أولى 1405هـ.

22- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي - تحقيق الدكتور محمود الطحان - دار المعارف بالرياض - ط. أولى 1403هـ.

23- الرسالة - الإمام الشافعي - تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر - مكتبة دار التراث بالقاهرة - ط. ثانية 1399هـ.

24- سلسلة الأحاديث الصحيحة - العلامة محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.

25- الشرع واللغة (مع: الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر) - العلامة أحمد

محمد شاكر - دار الكتب السلفية - ط . ثالثة 1407هـ .

26- صحيح مسلم بشرح النووي - الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - المطبعة المصرية - بدون تاريخ .

27- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير - اختصار وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر - بدون تاريخ .

28- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر - المطبعة السلفية بمصر - الطبعة الثانية 1400هـ .

29- فصول في فقه العربية - العلامة الدكتور رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - ط . ثالثة - 1408هـ .



30- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - الإمام ابن القيم - دار الكتب العلمية - بدون تاريخ .

31- في ظلال القرآن - الأستاذ سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الثالثة عشرة - 1407هـ .

32- قطوف أدبية - الأستاذ العلامة عبد السلام محمد هارون - مكتبة السنة - ط . أولى 1409هـ .

33- الكشاف عن حقائق التنزيل - الشيخ جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري - دار المصحف .

34- اللغة الشاعرة - الأستاذ عباس محمود العقاد - مكتبة غريب - بدون تاريخ .

35- اللمع في أصول الفقه - الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي - دار الكتب العلمية - ط . أولى 1405هـ .

36- المتنبي - الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر - دار المدني ومكتبة الخانجي - طبعة 1407هـ .

37- مجموع فتاوى شيخ الإسلام - جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد - مكتبة ابن تيمية - بدون تاريخ.

38- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - تحقيق الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميليه - مطبعة عيسى البابي الحلبي - بدون تاريخ.

39- مقدمة ابن خلدون - العلامة الإمام عبد الرحمن ابن خلدون - دار الشعب - بدون تاريخ.

40- النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين محمد الجزري بن الأثير - تحقيق الأستاذين طاهر الزاوي ومحمود الطناحي - المكتبة العلمية ببيروت - بدون تاريخ.



41- وحي القلم - الأستاذ العلامة مصطفى صادق الرافعي - دار المعارف - بدون تاريخ.

42- الوجيز في أصول الفقه - الدكتور عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - ط. أولى 1987م.

43- الوساطة بين المتنبي وخصومه - القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - بدون تاريخ.

○ ○ ○

## ○ فهرس الموضوعات ○

○ ○ ○

مطبعة العمرانية للأوفست
ت : ٧٧٧٩٣٩٨